سلسلة الدراسات التوثيقية 21

بشير قاسم يوشع

من أعلام مدينة غدامس الليبية

الطبعة الأولى 2022م

بشير قاسم يوشع .. من أعلام مدينة غدامس الليبية

القارىء الكريم:

سلسلة الدراسات التوثيقية هي مجموعة من الدراسات والبحوث العلمية الرصينة الهادفة، عملت دار آريثيريا للنشر والتوزيع على تبنيها والاهتمام بها ونشرها بالشراكة مع مجلة القلزم للدراسات التوثيقية.. خدمةً للبحث العلمي في مجال الدراسات و البحوث التوثيقية.

القارئ الكريم:

تثمن دار آريثيريا للنشر والتوزيع المجهودات العلمية لجميع المفكرين والمختصين والباحثين من مختلف الدول العربية وخارجها، وتؤكد بأنها سوف تعمل بكل جد واجتهاد على توسيع قاعدة النشر العلمي وإتاحته عبر الدار وشركائها، لنشر البحوث التي تسهم في رفد المكتبة العربية والعالمية بالجديد المفيد.

القارئ الكريم:

العالم اليوم يؤمن بالعمل الجاد والبحوث العلمية الرصينة ذات المردود الإيجابي على الفرد والمجتع، ومن خلال هذا المحور نعمل دائما - بحول الله تعالى - كي تكون الدار منبراً علمياً يشار إليه بالبنان. بإذنه تعالى.

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

بشـير قاسـم يوشـع

من أعلام مدينة غدامس الليبية

2022م

الكتاب : بشير قاسم يوشع .. من أعلام مدينة غدامس الليبية
تاريخ النشر : الطبعة الأولى 2022م

التصميم والإخراج: علي عبد الحليم كابتود

حقوق النشر محفوظة للدار

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه كنسخة إلكترونية أو نقله بأي شكلٍ من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الدار.

إن دار آريثيريا للنشر والتوزيع غير مسؤولة عن أراء المؤلفين وأفكارهم، وتعبر الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب عن وجهة نظر المؤلفين ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار.

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution
جوال : 00249910785855 -00249121566207
arithriaforpublishing@gmail.com

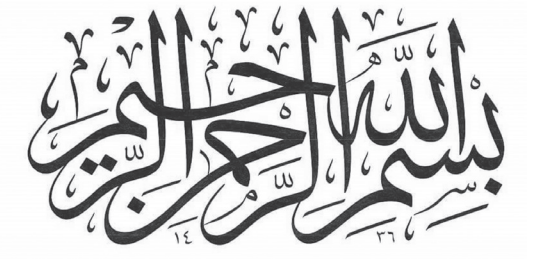
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾

(الآية 64 - سورة الفرقان)

الفهرست

الفصل الأول

المؤرخ بشير قاسم يوشع .. ميلاده ونشأته وجهوده العلمية 7

الفصل الثاني

بشير قاسم يوشع .. رائد الكتابة التاريخية بغدامس 26

الفصل الثالث

إسهامات بشير قاسم يوشع في توثيق وكتابة التاريخ المحلي الليبي 39

الفصل الرابع

قراءة في كتاب: غـــدامـــس عبـــر العصـــور، بشـير قاسـم يوشـع: غدامس مدينة الحضارة والتجارة والثقافة 58

الفصل الخامس

The writing's characteristics in Yousha'sGhadames: Features and Pictures and its contribution to the Libyan history..... 75

الفصل الأول

المؤرخ بشير قاسم يوشع
ميلاده ونشأته وجهوده العلمية

المؤرخ بشير قاسم يوشع
ميلاده ونشأته وجهوده العلمية

د. الحبيب محمد عبد الله الموفق

المقدمة:

التاريخ الثقافي لليبيا وجه مشرق من وجوه هذا البلد الطيب، وهو تاريخ عامر بالعطاء زاهر بالبطولات في شتى الميادين ولقد قدم هذا البلد على مر العصور أسماء كثيرةبعضها بارز وجلها مغمور، شاركت في إعمار الأرض ونشر الخير.ومن دوافع إعداد هذا المقال المتواضع الرغبة في إلقاء أضواء ولو خاطفة على نموذج من الشخصيات الثقافية الليبية التي أفنت أعمارها وقدمت ما بوسعها خدمة للعلم والفكر.ومن ضمن هذه الأسماء الأستاذ الكاتب المؤرخ بشير قاسم يوشع -رحمه الله- وهو يمثل إسهام الأطراف النائية في ليبيا في إثراء الحركة العلمية. وقبل الحديث عن بشير يوشع يجدر التطرق إلى موضوع مهم، بل في غاية الأهمية، ألا وهو الظلم التأريخي الذي تعرض له هذا الوطن، عن قصد أو دون قصد، وقد شغل بال الكثير من المعنيين بتاريخ هذا البلد وأخبار رجالاته. وقد رأيت الإشارة إليه في مستهل هذا المقال تماشياً مع منطلقات هذه المجلة الرائدة وهو الكشف عن الأعلام المجهولة والتعريف بنشاطاتها وجهودها العلمية.

اليبيون والتدوين التاريخي:

يقول الأستاذ علي مصطفي المصراتي: «لقد ظلم التاريخ ومسار الإبداع في ليبيا من بعض المؤرخين العرب المعاصرين الذين يقفزون قفزا متعدين هذا البلد الرائع والوطن العربي المسلم ، يكتبون عن كل الأقطار والعصور إلا ليبيا ،إما جهلا وعدم اطلاع ومعرفة، وإما إهمالا وعدم مبالاة.

فترة كانت ليبيا تعرف عندهم مجرد (صندوق من الرمال) هكذا في أوصافهم. بعضهم يراها بعد تفجر الثورة النفطية، وتدفق البترول مجرد آبار بترول وبراميل

للغاز.إلا ما ندر وقل من أهل الإنصاف والاعتراف»[1]. ويضيف المصراتي متحسراً:» ذات مرة أكاد أقول المرائر أحدهم من أدعياء المعرفة من المهرجين باعة الكلام قال في أحد المجامع: هيا ليبيا فيها تاريخ وأدب...هل فيها كتاب!؟لا بصفة النفي فقط بل بصفة الإنكار المطلق»[2] وينوه كذلك الدكتورالطيب الشريف في دراسته عن الأسس الثقافية في ليبيا عن هذا الموضوع قائلا:» يجد المتتبع لتاريخ ليبيا الثقافي بعض التلميحات إلى خلو هذا البلد من العلماء والأدباء،وأنه لا تاريخ ثقافي له يذكر مثلما نجده عند العبدري في رحلته إلى المشرق، حيث مر بطرابلس، فذمها ذم المتحامل عليها ...لأنه لم يكلف نفسه عناء البحث والسؤال، ولو فعل لوجد الكثير من العلماء في زمنه وقبله «[3].ويضيف:» وليس العبدري وحده من ذم طرابلس فإن بعض الأتراك صورها بصورة منفردة، وعلى هذه الصورة المنفرة تبدو ليبيا في خيال البعض، ممن لم يعرفونها جفافاً في كل ميادين الحياة لاسيما ميدان العلم والمعرفة»[4].

أما المؤرخ بشير يوشع فيشخص هذه الظاهرة ويحلل أسبابها ويعلل لها بقوله :»إن أصابع الاتهام بالسلبية الثقافية كثيراً ما وجهت نحوليبيا،وبأنها لم يكن لها نشاطاً في البحث العلمي كجارتها شرقاً وغرباً رغم أنها جسر العبور الإسلامي إلي بقية أقطار مغربنا الكبير والأندلس ومن البديهي أن نقول: إن هذا الاتهام غير صحيح،إذ أن لهمزة الوصل مكانتها الثابتة دائما غير أنيلا أستغرب هذا الاتهام المبني علي الجهل ،طالما أن أبنائها غزاهم التواضع الزائد عن الحاجة علي مر السنين،متناسين قوله تعالي علي لسان نبيه إبراهيم عليه السلام: «واجعل لي لسان صدق في الآخرين»[5]. ومن المؤسف أن أوائلنا يفتقرون إلى الداعية وتنقصهم الحاسة التاريخية التي بدأت تستيقظ مؤخرا....

أننا بهذا الإنكار للذات أعطينا لغيرنا رخصة اتهامنا بالتقصير»[6]. ولعل من مظاهر الحاسة التاريخية التي استيقظت مؤخراً- على حد تعبير بشير يوشع - تلك المؤامرات الكبيرة والندوات والدراسات الاكاديمية والمجلات المتخصصة في تناول الشخصيات العلمية الليبية تقديراً لأدوارها وإنصافاً لمجهوداتها. ونعود إلى الحديث عن محور هذا المقال ألا وهو سيرة المؤرخ يوشع وقبل الخوضفي ترجمتة الذاتية ، من الأهمية بمكان التعريف بيئته ومحيطه الاجتماعي الذي ولد ونشأ فيه، إذ «الإنسان ابن بيئته» كما يقول الفيلسوف تين، يتأثر بها ويؤثر فيها ، وهذا ما بدا واضحاً لمناطلع على حياة المؤرخيوشع.

بيئته ومحيطه الاجتماعي:

بمدينة غدامس أو واحة غدامس - كما يصفها بعض الجغرافيين- ولد يوم 8/24/ عام1930م.وغدامس من المدن العتيقة وتمثل عمقاً تاريخيا سحيقا، وتتربع على موقع جغرافي مهم، جعل منها إحدى محطات القوافل التجارية التي تجوب القارة الأفريقية، لذلك كانت على مر العصور هدفا للغزاة.

يذكر الطاهر الزاوي أنه «في الفتح الإسلامي نجد سرية لعقبة تصل إلي غدامس سنة 34هـ فتفتحها»[7]. ومن ذلك الوقت ازدهرت المدينة ثقافيا وصارت حاضنة من حواضن الثقافة العربية الإسلامية في ليبيا وشمال أفريقيا. وفي صدد الحديث عن النشاط الثقافي في غدامس عبر القرون يحسن ان نحدد بعضا من مظاهر هذا النشاط وذلك التفاعل الفكري الذي جعل غدامس بيئة ثقافية صالحة أفرزت الكثير من الأسماء العلمية منهم المؤرخ بشير يوشع:

1 - الشخصيات العلمية:

تفيد المصادر التاريخية المتواترة وجود قبر للصحابي الجليل عقبة بن عمروالبدري -رضي الله عنه- وقبر للتابعي أبي الشعثاء، وقبور لثلاثة عشر صحابياً أسماؤهم مجهولة.

فوجود صحابة وتابعين في بلد ما يمثل انطلاقة نحو الثقافة في الدين، وبداية لرواية الحديث الشريف ودراسة علوم القرآن الكريم. ولعل أقدم شخصية علمية بعد أولئك ((إسماعيل الدراري حيث توجه من غدامس إلى البصرة للدراسة في أوائل القرن الثاني للهجرة)) [8]. ولم ينقطع السند العلمي وتلقي العلم بين الأجيال وإن ندرت الاخبارالمتصلة بذالك ولكن توجد إشارات تدل على ذلك كما ورد في كتاب انتشار الاسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى إذ أنه «بمجرد أن تأسست مدينة تنبكتو في أواخر القرن الخامسالهجري شرع العلماء يفدون إليها من مصر وغدامس وفاس»[9].

أما «في القرن العاشر للهجرة فقد عثر على بقية من مخطوط لمؤلف غدامسي اسمه عبدالسلام بن عبدالرحمن وعنوانه: فتق الأزهار»[10] ولم تتوقف المدينة عن العطاء فنجد الشيخ محمد بن عمر الغدامسي «عاش في النصف الثاني من القرن السادس عشر...له مؤلفات كثيرة[11]. ويلمع اسم العلامة عبد بن أبي بكر الغدامسي بعد ذلك وقد أشار إلي سيرته المؤرخ المغربي(الافراني)في كتاب (المناقب). وتتوالى الأسماء حتى

القـرن التاسـع عـشر يـبرز اسـم الشـيخ عبـد الرحمـن البوصـيري فقيهـا وقاضيـاً وشـقيقه محمـد صحفيـاً» فأسـس أوائـل الصحـف الليبيـة وهـي الترقـي» [12].

2 - المؤسسات العلمية:

وتتمثـل في المسـاجد الزواياالقرآنيـة ، فبجانـب أداء الشـعائر الدينيـة كانـت تعقـد فيهـا حلقـات الوعـظ والـدروس إضافـة إلى تحفيـظ القـرآن الكريـم، حيـث» بلـغ عـدد المسـاجد سـبعة وثلاثـين وعـدد الزوايـا القرآنيـة إحـدى عـشرة»[13]. وأقدمهـا الجامـع العتيـق الـذي بنـي عام44هجـري.

3 - المكتبات المنزلية:

أغلـب منـازل غدامـس تحتـوي مكتبـات زاخـرة بالمخطوطـات والوثائـق ، وتعـد الأسر أملاكهـا مـن ذلـك ثـروة مقدسـة تتوارثهـا الأجيـال وتحـرص عـلي الحفـاظ عليهـا ،وقـد قـدرت بثلاثـة آلاف مخطـوط.

ولعـل مـا أسـهم في ثـراء المدينـة بتلـك الـثروة، ذلـك التواصـل مـع شـعوب كثـيرة لغـرض التجـارة.

4 - الرحلات العلمية:

لم يكتـف طلبـة العلـم بغدامـس بمـا هـو متـاح في المدينـة ودفعهـم الشـوق إلى الاسـتزادة، فشـدو الرحـال إلى مراكـز العلـم الشـهيرة لإكـمال التحصيـل العلمـي، فقـد كانـت اول رحلـة علميـة- كماسـبق-في القـرن الثـاني للهجـرة إلى البـصرة ، وتوالـت الرحـلات إلي الأزهـر الشريـف وجامـع الزيتونـة، والمنسـتير بتونـس، وكذلـك إلى تـوات بالجزائـر وإلي أقـدز وزكـزك بالنيجـر وتنبكتـو وكذلـك إلي البقـاع المقدسـة.

إضافة إلى الرحلات الداخلية إلى طرابلس وأوجلة والجغبوب وغير ذالك.

5 - المراسلات والإجازات العلمية:

فمـن مظاهـر النشـاط الفكـري بغدامـس الـذي أثـرى المنـاخ الثقـافي ذلـك التواصـل بـين غدامـس وعـدد مـن البلـدان وربمـا سـاعد ذلـك وجـود خطـوط القوافـل التجاريـة التـي تمـر عـبر غدامـس.

وحفظـت لنـا المصـادر الكثـير مـن المراسـلات بـين علـماء غدامـس وغيرهـم إضافـة إلى الإجـازات العلميـة التـي نالهـا طـلاب العلـم بهـا وكذلـك منحوهـا لغيرهـم داخـل المدينـة وخارجهـا.

6 - النتاج العلمي:

وهونتيجة طبيعية لما سبق ذكره فتمخض عن تلك المسيرة إنتاجلايستهان به متمثلاً في التأليف والتفسير والشرح والاختصاروالنظم وكذلك النسخ والوراقة ، إضافة إلى العطاء الشفهي المتمثل في تحفيظ القرآن الكريم والخطابة والوعظ والإرشاد والإفتاء والقضاء. وقد لاحظ الرحالة الإنجليزي رتشاردسن أثناء زيارته إلي غدامس عام 1845م ما عبر عنه بقوله: « اقتلع المسلمون جذور المسيحية من أرض شمال أفريقيا وغرسوا بدل شجرتها ذات التمر النقي نباتا أكثر لمعانا ممثلا في الإسلام...أدخلوا ونشروا الإلمام بالكتابة والقراءة بواحتي غدامس و غات اللتين توفران مثلاً نسبة أكبر من الأطفال الذين يقرأن ويكتبون عما توفره أيا من مدننا الإنجليزية»[14].

تلك هي البيئة التي نشأ وترعرع بها المؤرخ بشير يوشع فلا غرابة أن نجد في سيرته العطاءونلمس في مؤلفاته الإفادة.

دراسته وثقافته:

يوشع كاتب وباحث ومؤرخ من الطراز التقليدي، حيثإنه لم يتلق العلم في أي معهد أو جامعة، ولم يدرس التاريخ دراسة أكاديمية منهجية، ومع ذدلك استطاع أن يكون لنفسه رصيداً غزيراً من المعرفة، ويبني قدرات عالية في البحث المنهجي، فامتلك أدوات البحث العلمي وقدم للمكتبة التراثية أعمالاًرائدة. ويمكننا تقسيم دراسته وثقافته إلى قسمين: الأول،دراسة نظامية ، والثاني، ثقافة شخصية واجتهاد ذاتي.

فالدراسة الرسمية النظامية فتمثلت في التحاقه بكتاتيب المدينة القديمة غدامس كعادة جل أهل البلدة، وأتم حفظ القرآن الكريم برواية ورش وهي الرواية الشائعة المألوفة عند أهل غدامس. والتعليم في كتاتيب المدينة بجانب تحفيظ القرآن الكريم يقدم للتلاميذ قدرا من المعارف الدينية وحفظ بعض المنظومات مثل: متن ابن عاشر في العبادات وغيرها. ومنمشائخه الفقيه محمد بلقاسم رشيد-رحم الله-.

كما التحق بالمدرسة الإيطالية التي أنشأها الإيطاليون بغدامس ودرس بها الصفوف الابتدائية الأولي، كطبيعة هذه المدارس، وتلقى مبادئ اللغة العربية (النحو والإملاء والنصوص) وكان مدرسه في ذلك أحمد بن مالك - رحمه الله- وهو من أعلام غدامس.

أما ثقافته الذاتية فتتمثل في تلقيه العلم من خلال الحلقات العلمية التي تتيحها مساجد المدينة كتفسير القرآن الكريم وعلم القراءات والسيرة النبوية والفقه وغيرها. وبسبب تردي الأوضاع المعيشية في البلاد بصفة عامة عقب الحرب العالمية الثانية، اتجهت أعداد كبيرة من المواطنين إلي الهجرة إلي تونس طلبا للرزق والحياة الكريمة، وكان ضمنهم بشير يوشع، ومكث في تونس سنوات عدة، ولتعطشه للعلم و إقباله علي المعرفة ظل يتردد علي الحلقات العلمية المجانية التي زخر بها جامع الزيتونة المعمور، ونال قسطا وافرا من المعارف.

أما الرافد العلمي الأكبر الذي تزود منه فيتمثل في حبه الدائم للقراءة، وساعده علذلك توليه وظائف رسمية وفرت له مناخا طيبا للاطلاع والتزود، فقد تولي إدارة المركز الثقافي بغدامس الذي يضم آلاف الكتب وترد إليه الصحف والمجلات المحلية والعربية بانتظام، ومكث عدة سنوات مديرا له. وبعد ذلك كلف بإدارة مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية فرع غدامس، وتفرغ للبحث في المخطوطات والوثائق القديمة التي تزخر بها المدينة، وأتاح له ذلك المشاركة في المحافل العلمية كالمؤتمرات والندوات، وقام في تلك الفترة بإنجاز معظم مؤلفاته.

عطاؤه العلمي:

قبل التطرق إلى مؤلفاته ومنشوراته ينبغي التنويه والإشارة بالدور الذي تبوأه في مدينته كونه أحد أعلامها المعاصرين ويشكل امتدادا لتلك الشخصيات العلمية المعروفة بها منذ قرون.وبشير يوشع -رحمه الله-غزير العطاء فهو أحد المراجع الشفهية الموثوقة،له حضور بارز في المحافل العلمية التي تنتظم من حين لآخر. وهو اسم لامعفي المناسبات الوطنية ومشارك فاعلفي الندوات والمحاضرات العامة، يشرف على معارض المخطوطات ويتولى استقبال الوفود العلمية القاصدة غدامس.

بجانب ذلك له عدة مشاركات استشارية في الإنتاج السينمائي والمرئي الخاص بالموروث.

وترأس الرحلات العلمية والمشاركات الثقافية خارج غدامس كالمعارض الوطنية و الندوات العلمية الكبيرة.

أما مؤلفاته: فقد نشرت بعض منها، والبعض الآخر لايزال قيد الطباعة، وسأحاول التعريف بها -ولو بإيجاز-.

مؤلفاته:

في سياق الكلام عن مؤلفات يوشع وأبحاثه ومقالاته تجدر الإشارة إلى ملاحظة أوسمة اتصفت بها هذه الأعمال ألا وهي تصدر اسم بلدته غدامس أغلب العناوين، وتبدو للوهلة الأولى أنها خاصة بتلك البلدة ،وفي الواقع فإنها وإن تناولت جوانب من تاريخ غدامس العريق إلا أنها للقارئ نافذة واسعة يطل من خلالها على بقاع متعددة.

إن تاريخ غدامس يرتبط ارتباطا وثيقا بكثير من البقاع في ليبيا وتونس والجزائر والصحراء الكبرى ودواخل أفريقيا ومجاهلها. ولغدامس علاقات تجارية وروابط اجتماعية وصلات ثقافية مع كثير من المناطق. لذلك مؤلفات يوشع حول غدامس هي معبر وممر آمن إلى تلك البقاع يستشف الباحثون من جرائها الكثير من الإفادات والإشارات. ومما يميز هذه المؤلفات أيضا احتواؤها على مادة تاريخية تنشر لأول مرة ، إضافة إلى معلومات غزيرة من مصادر شفهية لرواة ينتمون إلى أجيال سابقة أدركهم المؤلف ونقل عنهم الكثير ، بجانب المعلومات المقتبسة من مخطوطات نادرة. وسأحاول التعريف- بإيجاز- ببعض هذه الأعمال المنشورة ، أما التي لم تنشر فسأكتفي بسرد عناوينها.

(غدامس ملامح وصور)[15]:

صدرت الطبعة الأولى منه في بيروت عام 1973ويقع في أكثر من ثلاثمئة صفحة تناول فيه وصفا شاملا للمدينة وعرضا للمراحل المتعاقبة عليها منذ العهد الروماني حتى العهد الحديث ، وأشار إلى أصل سكانها وآثارها وأسوارها، وتفاصيل العادات والتقاليد ، والمساجد والزوايا والشوارع وغير ذلك .

(غدامس وثائق تجارية تاريخية اجتماعية) [16]:

كتاب جمع فيه عدد مائة وخمسين وثيقة تاريخية قدمها للباحثين في صورة حديثة وبخط حديث مزودة بإيضاحات كثيرة في الهوامش ويرجع عمر هذه الوثائق الى الفترة من 1228 الى 1310 هـ .

(وثائق غدامس وثائق تجارية تاريخية اجتماعية) [17]:

وهو امتداد للكتاب السابق والجزء الثاني له إلا أن الفترة التي تعود إليها الوثائق اوسع بكثير وتمتد من 949-1343هـ (1542-1924) وتضم مائة وخمسين وثيقة ورتبها ترتيبا حسنا .

(فهرس مخطوطات غدامس):[18]

وكـما سـبقت الإشـارة فـإن بلـدة غدامـس تعـد واحـدة مـن البيئـات الزاخـرة بالمخطوطـات في ليبيـا ، وهـي انعـكاس طبيعـي للحركـة الفكريـة التـى شـهدتها عـبر القـرون ، وظلـت هـذه المخطوطـات حبيسـة الخزائـن وعرضـة لعوامـل التلـف ، وقـد تـسرب الكثـير منهـا خـارج الوطـن خصوصـا فـترات الاسـتعمار ، وبـين الحـين والآخـر تظهـر نسـخا منهـا في مكتبـات ومتاحـف باريـس وإسـطنبول وتونـس وغيرهـا.وفي مبـادرة طيبـة مـن مركـز جهـاد الليبـين أن قـام بنسـخ ماتيـسر منهـا وحفظـه عـلى (المكروفلـم) وإيداعـه بمكتبـة المركـز بطرابلـس .

كتـاب (فهـرس مخطوطـات غدامـس) فهرسـة وترتيـب وتعريـف لأكـثر مـن أربعمائـة مخطوطـة .

يقـول يوشـع في مقدمـة الكتـاب :» هـذه الحصيلـة جمعـت مـن 28 مكتبـة خاصـة يحتـوي الكتـاب في آخـره عـلى قائمـة مفصلـة عنهـا وعـن أصحابهـا ، وعـدد مايملكـه كل منهـم ونوعـه ، وأخـرى بأسـماء مؤلفـي هـذه المخطوطـات وثالثـة بنسـاخها،ورابعة بالمؤلفات المذكـورة في الملاحظـات..»

(فهرس مخطوطات غدامس مخطوطات جامع تندرين)[19]:

هـذا الكتـاب امتـداد للكتـاب السـابقأو الجـزء الثـاني لـه إلا أنـه خـاص بمخطوطـات أحـد المسـاجد العتيقـة بالمدينـة القديمـة وهـو جامـع تندريـن صـدر عـن المركـز الوطنـي للمحفوظـات والدراسـة التاريخيـة بطرابلـس عـام 2011ويقـع في أكـثر مـن ثلاثمئـة وسـتين صفحـة وهـو فهرسـة وترتيـب وتصنيـف لقرابـة الألفوثلاثمائـة مخطـوط في (التوحيـد ،الحديـث ، الفقـه ، النحـو ، التفسـير ، التصـوف ، التاريـخ ،الطـب ، .....)

6 -(مدينة غدامس عبر العصور)[20]:

هـذا الكتـاب -كـما يظهر-امتـداد للكتـاب الأول غدامـس ملامـح وصـور، وتوسـعة وإضافـات جديـدة لبعـض الموضوعـات ،وقـد تنـاول بتفاصيـل أكـثر تاريـخ غدامـس في العهـد القرطاجـي وفي العهـد الرومـاني والبيزنطـي وكذلـك في العهـد العثـماني ،وقـدم عرضـا لأهـم المعـالم الأثريـة الموجـودة بهـا وغـير ذلـك مـن موضوعـات مثـل: (نظـام الحكـم- نظـام القضـاء- نظـام الـري- التجـارة- الصناعـة والطبـخ- الألعـاب الشـعبية- الإعـلام الداخـلي

...) وللمؤرخ كتب أخرى هي في طور النشر مثل :كتاب (سكان مدينة غدامس)وهو دراسة مفصلة للمكونات الاجتماعية الأسرية بالمدينة، والقبائل وغيرها. وكتاب(اللغة الغدامسية) دراسة لغوية لخصوصيات لغة أهل غدامس وهي إحدى اللغات الليبية القديمة (البربرية).وله كتاب آخر في الأدب الشعبي الامادي بعنوان(قصص وأساطير من غدامس) جمع فيه ما تناثر من حكايات وأقاصيص شعبية تتناقلها الأجيال مشافهة.

وله كتاب آخر بعنوان(من أعلام غدامس) وهو قريب في منهجيته من كتاب أعلام ليبيا للطاهر الزاوي،وقد تناول فيه تراجم لأكثر من مائة وأربعين علماً من الشخصيات العلمية والسياسية والتجارية بغدامس منذ أقدم العصور.

7 - كتاب (غات ملامح وصور):

وهو دراسة وصفية تاريخية لمدينة غات بالجنوب الغربي الليبي، ومعلوم أن غات يصفها الدارسون بأنها التوأم لغدامس ؛ لوجود قواسم مشتركة متعدده ولوجود روابط بين المدينتين عبر القرون تجارية واجتماعية. وله أيضا مؤلفات أخرى لاتزال لدى عائلته ولمتلق طريقها للنشر، ككتاب (الأمثال الشعبية)وهوجمع للماثور الشعبي بالمدينة المتمثل في الامثال. وكتاب آخربعنوان (كأنك معي في مدبنة غدامس القديمة) وهو عبارة عن دليل سياحي يمكن المطلع عليه من التجوال في معالم المدينة ودروبها وتأمل جمالياتها من خلال الصور والوصف. وكتاب آخر بعنوان(إلى الحياة) وهوديوانشعري جمع فيه محاولاته الشعرية في أغراض شتى، كالشعر الوطني والمدائح النبوية، ووصف الطبيعة، والغزل وغيرها. وكتاب آخر خصصه لأبرز معالم المدينة علي الإطلاق وهو عين الفرس، أصل المدينةوسر حياتها عبر العصور. وكتاب آخر علي هيئة معجم لغوي يضم مفردات اللهجة الغدامسية المحلية.

أمابحوثه ومقالاته فهي كثيرهوسيرد ذكر بعض نماذج منها علي سبيل المثال لا الحصر وهي كالتالي:

- (أضواء علي حملة يوسف باشا القرماني على غدامس) ونشرت بمجلة الثقافة العربية سنة 1984.
- و(العلم والعلماء في عصر ابن غلبون) ونشر بمجلة البحوث التاريخيةالعدد الثاني 1984م.
- و(الصحابي أبو مسعود الأنصاري وحقيقة صلته بغدامس) ونشر بمجلة

تـراث الشـعب، العـدد الأول. و(عـين الفـرس التـي اختفـت منغدامـس) ونشر بمجلة تـراث الشـعبالعدد الأول1991م. وكذلـك بحثـه (غدامـس ويوسـف باشـا القرمـاني) ونـشر بمجلـة الشـهيد العـدد 11، 1990وغيرذلـك مـن الدراسـات والمحـاضرات التـي شـكلت مرجعـا مهـما للدراسـات الجامعيـة الخاصـة بتلـك البلـدة ومـا ارتبـط بهـا.

جوانب من شخصيته:

الإنتـاج الفكـري كـما هـو معلـوم انعـكاس طبيعـي لشـخصية صاحبه،ومـرآة صادقـة تتجسـد مـن خلالهـا خصائصـه الأخلاقيـة وقدراتـه الفكريـة، وهـذا مـا يمكـن أن نستشـفه مـن مؤلفـات وأبحـاث بشـير يوشـع.

فالمتأمـل المدقـق في جهـوده وآرائـه ونظراتـه الذاتيـة يلحـظ النقـاء العلمي الذي يتسـم بـه، ويلمـس الحـماس والرغبـة العارمـة الصادقـة في خدمـة التاريـخ وتوثيـق المـوروث الـذي يـراه يتضـأل عـبر الأجيـال.

نلمـس دقـة العلـماء ورقـة الأدبـاء في أسـلوبه وتعابيره،كـما نلمـس خلـق الباحثـين في دراسـته. ويمكننـا أن نذكـر بعـض الصفـات التـي اتصـف بهـا، وأظهرتهـا سـطور كلامـه ومـا خلـف السـطور،كالصدق والأمانـة العلميـة والتواضـع وتقديـر مشـايخه ومعلميه،وإسـناد المعـروف إلىأهلـه وإنصـاف جهـود سـابقيه، كـما نلمـس السـماحة والهـدوء والبعـد عـن التعصـب المقيت،ونجـد الاعـتراف بالخطـأ والسـعي إلى تصويـب مـا يـراه قـد أخطـأ فيـه. وسـأورد مقتطفـات مـن أقوالـه بـين ثنايـا مؤلفاتـه شـواهدا عـلى ذلـك «هنـا وقـد اسـتعنت في إثبـات وتصحيـح بعـض الأسـماء القديمـة ببعـض المسـنين وعـلى رأسـهم الحـاج محمـد صالـح عـزي»[21].

«وقـد وقعـت شـخصيا في هـذا الخطـأ وسـميته في كتـاب غدامـس ملامـح وصـور ضريـح عقبـة بـن عامـر»[22]. ويقـول في مقدمـة كتـاب غدامـس عـبر العصـور:»إن هـذا الجهـد المتواضـع الـذي بذلتـه لإبـراز هـذه المدينـة ذات الجـذور التاريخيـة مـن مـا قبـل التاريـخ إلى الجرمنـت والرومـان إلي الفتـح الإسـلامي ومـا تـلاه مـن الأنظمة...هـذا الأمـر في حاجـة ماسـةوملحةإلى مجموعـة كبـيرة مـن العلـماء الباحثـين»[23]. ويقولفـي إحـدى مقالاته: «كانتغدامـس القديمـة مدينـة جامعـة للمتناقضات،الغنـاء والرقـص، التقـوى والتهجـد، الـثراء الفاحـش والفقرالمدقـع، البـذخ والتقتـير، الجـود والبخـل، الكـد والكسـل، العلـم والجهـل،

الجمال والقبح»[24]. ويقول في إحدى دراساته: «إننا بدل أن نلوم غيرنا لماذا لم يذكرونا ولم يكتبوا عنا، علينا أن نراجع أنفسنا ماذا أظهرنا للناس لنعرف به... «[25]. ويقول أيضا: « اذهب إلى أية مكتبة عامة أو مركز ثقافي شئت في أي بلد عربي واسأل عن الدوريات التي تصدر في ذلك البلد وربما أيضا في خارجه فستجد السلاسل متكاملة، ليست مقطوعة ولا مبتورة وراجع تصنيف تلك المكتبة فستجده على أرقى مستوى، فهل مكتباتنا ومراكزنا الثقافية تقرب من هذا المستوى؟ إن المشكل الذي نعاني منه في الماضي والحاضر في اعتقادي هو الوعي المحدود لدينا في مجالي النشر والتصنيف... «[26]. ويقول قي سياق تصنيفه لمخطوطات إحدى المكتبات الخاصة: «فلقد منّ الله علي هذا العام بإنقاذ هذه المكتبة من الضياع ، لقد أحضرها حفيده محمد بن عبد الله في أكياس على حالة يرثى لها من الضياع والإهمال، فانكببت عليها لعدة شهور حتى أعدت ترتيبها ووضع كل ورقة بجانب أختها، وقد بلغت عناوينها68عنوانا في مختلف العلوم وإن أكثرها بسبب الإهمال فقد أوبتر»[27]. ونلمس تواضعه كذلك في قوله في سياق دراسته لإحدى دفاتر الجباية يعود إلى بداية القرن التاسع عشر ، هذا الدفتر هو ملك الأخ قاسم السنوسي الذي تكرم مشكورا بإحضاره إلى مكتب جهاد الليبين فرع غدامس وأذن بتصويره ودراسته ...وإنني بهذه الورقة المتواضعة أرجو أن أضع بين أيدي الدارسين والباحثين صورة عن هذا الدفتر الذي سيكشف جوانب تاريخية كنا نجهلها، ولا أزعم لنفسي أني سأقدم دراسة ذات بال بل هي محاولة لتسجيل المعلومات التي يحتويها لإلفات النظر إليها فقط»[28].وفي ثنائه على بعض المواطنين ملاك المخطوطات بغدامس: «كما لا يفوتني أن أشكر جميع الإخوة الذين قدموا مادة هذا الكتاب إلى مركز جهاد الليبيين بغدامس طواعية دون أن ينتظروا جزاء ولا شكوراً إلا من سبحانه وتعالي، وإذ أكبر فيهم هذه الروح العلمية الأصيلة والنظرة المتجردة الواعية ، لأرجو من الإخوة الذين لم يتقدموا حتى الآن بما عندهم أن يحذوا حذوهم ويجودوا بما عندهم ترحماً وتخليداً لذكرآبائهم وأجدادهم الذين غادروا هذا العالم وأقصى أمنيتهم بلا شك أن يقيض الله من ينتفع بهذه الكنوز التي بذلوا فيها عرقهم وأموالهم حتى أوقفوها لوجه الله»[29].

وأختم هذه المقتطفات مما ذكره في كتاب غدامس ملامح وصور: «... قديما قال الجاحظ رحمه الله (من ألف فقد استهدف) قال هذا لأن الأخبار لا تخلو من

الأخطـاء والروايـات لا تخلـو مـن التعـدد، وإن بـدا للقـارئ الكريـم شيء مـن هـذا فأرجـو منـه المعـذرة لأنـه لا يسـلم أي كاتـب أو نـاشر مـن الخطـأ، وأكـون شـاكراً لـكل مـن ذكـرني بخطـأ رآه، وأتحفنـي بروايـة مخالفـة سـمعها، إني لا أعتـبر نفـسي مؤرخـاً أو منقبـا بـل جامعـا لأخبـار فقـط» [30].

الهوامش:

(1) الصحافة الأدبية في ليبيا د الطيب الشريف 16/1 ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ط1 2000 م .

(2) ينظر : المصدر السابق ص19 .

(3) من الأسس الثقافية في ليبيا . د الطيب الشريف ،مجلة الفصول الأربعة ،عدديناير 2000 رابطة الأدباء والكتاب بليبيا طرابلس ،هامش ص 70 .

(4) المصدر السابق هامش ص 71 .

(5) الآية 84 الشعراء .

(6) ينظر : غدامس من البيئات العلمية الثقافية في ليبيا ، أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات زليطن ، منشورات مركز جهاد الليبيين طرابلس 465/12 .

(7) تاريخ الفتح العربي في ليبيا - دارالتراث العربي ط3 ص91 .

(8) النشاط الثقافي في ليبيا ، أحمد مختار عمر الجامعة الليبية بنغازي 1971 ص131 .

(9) د حسن إبراهيم حسن ص 148 .

(01) ينظر :العلم والعلماء بغدامس في عصرابن غلبون ، بشير يوشع مجلة البحوث التاريخية السنة الرابعة العدد 1 1987 ص 85.

(11) ينظر : الشيخ محمدبن عمر ، نور الدين الثني مجلة الهلال غدامس العدد2 2002 ص14 .

(12) صحافة ليبيا في نصف قرن ، على مصطفى المصراتي ، الدار الجماهيرية 2002 ، ط2 .ص63.

(13) غدامس من البيئات العلمية مصدر سابق ص 479.

(14) ترحال في الصحراء ترجمة د الهادي بولقمة جامعة قاريونس 1993 ص 19.

(15) بشير قاسم يوشع ط 1. 1973 بيروت .

(16) وثائق غدامس وثائق تجارية تاريخية اجتماعية . مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية جمع وتحقيق بشير قاسم يوشع 1983.

(17) وثائق غدامس وثائق تجارية تاريحية اجتماعية مركز جهاد الليبيين 1995 الجزء لثاني.

(18) فهرس مخطوطات غدامس ص 9 .

(19) فهـرس مخطوطـات جامـع تندريـن، المركـز الوطنـي للمخطوطـات والدراسـات التاريخيـة، طرابلـس،ط 1، 2011.

(20) بشـير يوشـع،مدينة غدامـس عـبر العصـور، المركز الوطنـي للمخطوطـات طرابلس،ط 1، 2011 .

(21) غدامـس مـن البيئـات العلميـة في ليبيـا، أعـمال المؤتمـر الأول للمخطوطـات، زليـتن، ص 383.

(22) من أعلام غدامس.

(23) المرجع نفسه، ص 12 .

(24) ذكريـات رمضانيـة في غدامـس ، مجلـة الإخـاء، الهـلال الأحمـر الليبـي، العـدد 20، ص 36.

(25) مكتبـة الشـيخ محمـد الصالـح بـن هـارون، مجلـة الوثائـق والمخطوطـات، العـدد 5، 1990، ص 425.

(26) المرجع السابق، ص 426 .

(27) المرجعنفسه، ص 429 .

(28) دفـتر الجبايـة عـن السـنوات 1804 - 1819م مـن أحـد شـوارع غدامـس، مجلـة الوثائـق والمخطوطـات، العـدد 6، 1991، ص 317 .

(29) فهرس مخطوطات غدامس، ص 10 .

(30) ص 8 الطبعة الثانية .

المصادر والمراجع:

أولا المصادر:

القرآن الكريم برواية حفص

(1) تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، الشيخ الطاهر الزاوي، دار التراث العربي، ط3 .

(2) ترحال في الصحراء جيمس تشاردسن، ترجمة الهادي بولقمة ، جامعة قاريونس، 1993 م

(3) الصحافة الأدبية في ليبيا ، د. الطيب الشريف ، مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية ط1 2000م ، الجزء الأول .

(4) صحافة ليبيا في نصف قرن ، علي مصطفي المصراتي ، الدار الجماهرية ، ط2 2002م .

(5) غدامس من البيئات العلمية في ليبيا ، أعمال المؤتمر الأول للوثائق و المخطوطات ، زليطن ، منشورات مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية الجزء الأول .

(6) فهرس مخطوطات غدامس ، إعداد بشيريوشع ، مركز دراسات جهاد الليبين ضد الغزو الإيطالي، ط1 ، 1986م

(7) فهرس مخطوطات غدامس مخطوطات جامع تندرين ، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية ، طرابلس ط 1 2011م .

(8) مدينة غدامس عبر العصور ، بشير قاسم يوشع ، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية ، طرابلس ، ط1 2011م .

(9) النشاط الثقافي في ليبيا ، أحمد مختار عمر ، الجامعة الليبية بنغازي 1971 .

(10) وثائق غدامس وثائق تجارية تاريخية اجتماعية جمع وتحقيق بشير يوشع مركز جهادا الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس 1983 الجزء الأول .

(11) وثائق غدامس وثائق تجارية تاريخية اجتماعية جمع وتحقيق بشير يوشع مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس 1995 الجزء الثاني .

12. المجلات والدوريات :

13. دفتر الجباية عن السنوات 1804 – 1819م من أحد شوارع غدامس ، بشير يوشع مجلة الوثائق والمخطوطات العدد6 1991 م .

14. ذكريات رمضانية في غدامس مجلة الإخاء ، الهلال الأحمر الليبي ،العدد20 1991 م
15. الشيخ محمد بن عمر الغدامسي ، نور الدين الثني ، مجلة الهلال ، الهلال الأحمر غدامس ، العدد 2 ، 2002 م .
16. العلم والعلماء في غدامس في عصر ابن غلبون ، بشير يوشع ، مجلة البحوث التاريخية ، السنة الرابعة ، العدد 1 1987 م .
17. مكتبة الشيخ محمد الصالح بن هارون ، مجلة الوثائق والمخطوطات ، العدد5 1990 م.
18. من الأسس الثقافية في ليبيا ، د. الطيب الشريف ، مجلة الفصول الأربعة رابطة الأدباء والكتاب بليبيا ، طرابلس العدد 90 ، 2000م .

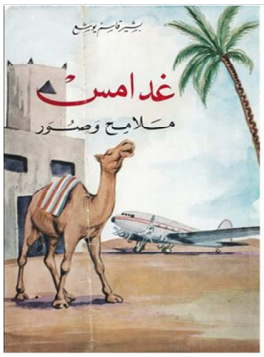

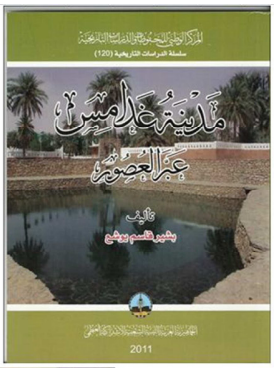

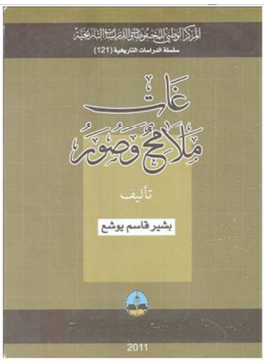

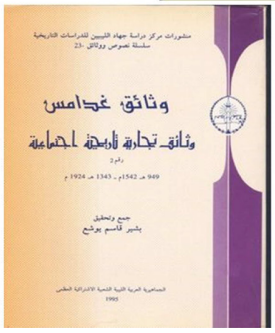

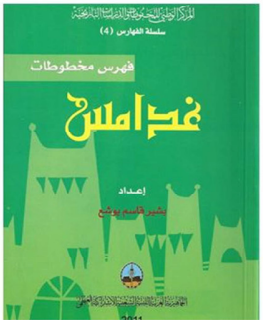

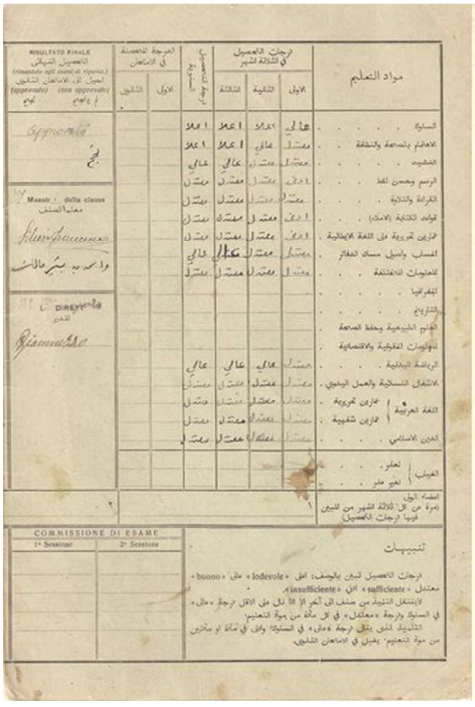
مواد التعليم

	الأول	الثانية	الثالثة	الأول	الثاني
السلوك	ممتاز	ممتاز	ممتاز		
الاهتمام بالنظافة	ممتاز	ممتاز	ممتاز		
النشيد	ممتاز	ممتاز	عالي		
الرسم وحسن الخط	ممتاز	ممتاز	ممتاز		
القراءة والتلاوة	ممتاز	ممتاز	ممتاز		
قواعد اللغة العربية (الإملاء)	ممتاز	ممتاز	ممتاز		
فنون تعبيرية في اللغة الإنجليزية	ممتاز	ممتاز	ممتاز		
الحساب والعمل مسك الدفاتر	ممتاز	ممتاز	عالي		
المعلومات المختلفة	ممتاز	ممتاز	ممتاز		
الجغرافيا					
التاريخ					
العلوم الطبيعية وحفظ الصحة					
المعلومات المنزلية والاقتصادية					
الرياضة البدنية	ممتاز	عالي	عالي	عالي	
الأشغال اليدوية والعمل اليدوي	ممتاز	ممتاز	ممتاز	ممتاز	
اللغة العربية: فنون تعبيرية	ممتاز	ممتاز	ممتاز	ممتاز	
اللغة العربية: فنون شفهية	ممتاز	ممتاز	ممتاز	ممتاز	
الدين الإسلامي	ممتاز	ممتاز	ممتاز	ممتاز	
العيوب: تعلم					
العيوب: تعبير عاثر					

تنبيهات

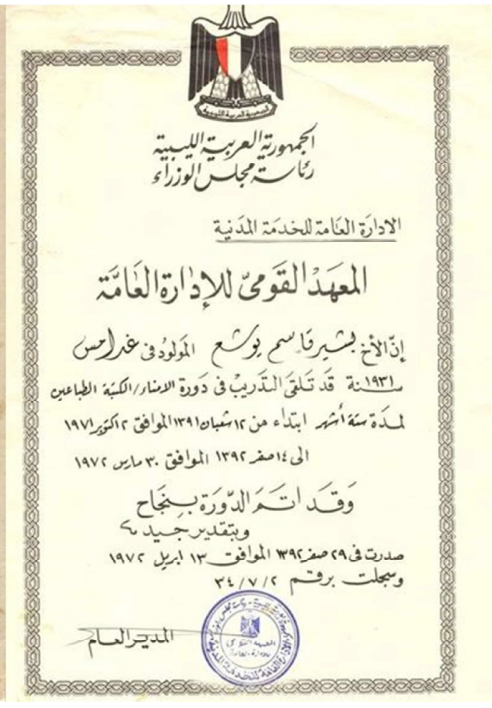
الجمهورية العربية الليبية
رئاسة مجلس الوزراء
الإدارة العامة للخدمة المدنية
المعهد القومي للإدارة العامة
إن الأخ بشير قاسم يوشع المولود في غدامس
سنة ١٩٣١ قد تلقى التدريب في دورة الإدمار/الكتبة الطباعين
لمدة ستة أشهر ابتداء من ١٢ شعبان ١٣٩١ الموافق ٢ أكتوبر ١٩٧١
الى ١٤ صفر ١٣٩٢ الموافق ٣٠ مارس ١٩٧٢
وقد أتم الدورة بنجاح
وبتقدير جيد
صدرت في ٢٩ صفر ١٣٩٢ الموافق ١٣ ابريل ١٩٧٢
وسجلت برقم ٣٤/٧/٢
المدير العام

المدرسة الإيطالية بغدامس

بشير يوشع بالزي التقليدي لغدامس

الفصل الثاني

بشير قاسم يوشع

رائد الكتابة التاريخية بغدامس

بشير قاسم يوشع
رائد الكتابة التاريخية بغدامس

أ. نورالدين الثني

(من المؤسف أن أوائلنا يفتقرون إلى الدعاية وتنقصهم الحاسة التاريخية التي بدأت تستيقظ مؤخرا وما بالعهد من قدم الحرب الإيطالية لليبيا التي تواصلت أكثر من عشرين سنة ، والتي لم يخض مثلها أي شعب عربي ضد الاستعمار الأوربي الحديث، وبرز فيها قادة شهد لهم الأعداء أنفسهم ، ماذا كتب آباءنا عن هذا الجهاد الذي بهر العالم أجمع ، عمر المختار الذي لايقاس به أحد في عصره من القادة العرب الذين لهم شرف التصدي للمستعمرين، ماذا كتب عنه الليبيون؟ كم عدد الليبيين الذين يعرفون حسونة الدغيس الطرابلسي ؟ إني أراهن أنهم أقل من الذين يعرفون رفاعة الطهطاوي وأحمد عرابي ، إننا بهذا الانكار للذات أعطينا لغيرنا رخصة اتهامنا بالتقصير)[1].

أردت أن أستهل مقالي بهذه الجملة التي قالها بشير قاسم يوشع وسط جمع غفير من علماء التاريخ اجتمعوا أثناء انعقاد المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا واقعها وآفاق العمل حولها بمدينة زليطن عام 1988 ومن خلالها نستطيع أن نتعرف على الدافع الوطني الكبير الذي يدفعه للاجتهاد لكتابة تاريخ بلاده . ولد بشير يوشع في بيئة تقليدية وفي أوساط غنية بالتراث من والدين ينتميان لعائلة عريقة معروفة بغناها المالي والثقافي في أغسطس من عام 1930 وكغيره من أقرانه إلتحق بالمدارس القرآنية لحفظ كتاب الله وحقق هدفه في صباه، كانت فترة طفولته مليئة بالأحداث السياسية التي أثرت ليس عليه هو فحسب وإنما على كافة المنطقة فالإيطاليين يستعمرون بلاده والصراع محتدم بينهم وبين الفرنسيين من اجل التسابق على نهش وطنه .

فقد إلتحق بالمدرسة العربية الإيطالية وهو ما مكنه من التعرف على ثقافة

المستعمر وأهدافه في البلاد وقد أرخ مترجمنا لهذه الأحداث التي وقعت في واحته من خلال المحاضرة التي ألقاها عام 1993 بقاعة المجاهد بالمركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية (بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية سابقا) والتي عنونها (غدامس والعهد الإيطالي بها) كما تناول في مقاله (ملامح الإدارة العسكرية الفرنسية بغدامس)[2]من خلال معرفته الشخصية باعتباره قريب عهد بالأحداث فقد وثق من خلال المقالة مواقف للاستعمار الإيطالي والفرنسي قد لا نجدها في المصادر الأخرى ، فقد قال : (سيضل الحديث عن الغزو الإيطالي لليبيا وما قوبل به من جهاد عنيف مثارا للاهتمام وأبحاث المؤرخين ، ذلك الغزو الغاشم الذي أعدت له إيطاليا طويلا وظنت أنها بالغة أهدافها في احتلال ليبيا واحتوائها بأيسر السبل)[3] ويقول في موضع آخر (قبل الحديث عن الإدارة الفرنسية المتعجرفة أذكر أنه بعد أن أعلنت إيطاليا الحرب على فرنسا وبريطانيا إلى جانب ألمانيا ، حسبت ألف حساب لمنطقة غدامس الحساسة التي تقع على مرمى البصر من القوات الفرنسية المتواجدة في الحدين الجزائري والتونسي) [4]

في شبابه انتقل المؤرخ إلى تونس للعمل بها واحتك بالمجتمع التونسي القريب ثقافيا بالمجتمع الغدامسي حيث تلقى بعض المبادئ في اللغة والفقه بحضوره دروسا في الفقه والحديث والقرآن بجامع الزيتونة وقد نلمس تجربته هذه من خلال مقاله (الغدامسيون في رحلة الحشائشي) حيث انتقد الكثير مما أورده في مقاله وعلى سبيل المثال لا الحصر قوله :(أما المثل القائل (غدامس تولد وتونس تربي) فإني لم أسمع بهذا المثل من قبل ولم أعثر على من سمعه بعد البحث الطويل عنه،ولعله من الأمثال التي ضاعت منا وهي كثيرة بلا شك ، وقد يكون له نصيب كبير من الصحة بحكم الرابطة الوثيقة بين غدامس ومدينة تونس، ولكن خلافا لفهم الحشائشي الذي يقول :(إذا ازداد مولود لأعيانهم يمكث عندهم بغدامس إلى أن يبلغ سنه سبعة أو ثمانية سنين إلى العشرةثم يرسلونه إلى تونس لقراءة جانب من القرآن العظيم وتعلم الكتابة ..[5].

كما استطرد قائلا (فكلمة التربية التي جاءت بالمثل واردة ، ولكنها ليست خاصة بتونس وتواجد السنوسية ، وكأن غدامس يقتصر دورها على الولادة فقط، إن تونس ساعدت كثيرا في التربية والتعليم ولكن غدامس تبقى القاعدة الأولى في ذلك[6].

عـاد مـن تونـس شـابا ناضجـا مثقفـا معروفـا عنـه بشـغفه بالقـراءة وهـم كـثر المحيطـين بـه الذيـن يتبـادل معهـم الصحـف والمجـلات والكتـب يتابـع الأحـداث الوطنيـة والإقليميـة مـن المذياعالـذي بـدأ ينتـشر في واحتـه كـما يناقـش تلـك الأحـداث مـع أقرانـه في المجالـس مـع عملـه المسـتمر في مـزارع آبـاءه وأجـداده ولذلـك تـم اختيـاره ليكـون كاتبـا بمتصرفيـة غدامـس ثـم أمينـا مسـاعدا للشـئون الإداريـة والماليـة ببلديـة غدامـس .

اتصـف مترجمنـا بسـعة اطلاعـه ـ وهـذا مـا نلاحظـه مـن خـلال مصـادر أبحاثـه ـ وحبـه الشـديد للقـراءة ولذلـك نقـل للعمـل كأمينـا للمركـز الثقـافي غدامـس الملحـق بمقـر البلديـة وفي أثنـاء عملـه هنـاك أصـدر كتابـه الـذي يعـد مرجعـا هامـا للباحثـين في تاريـخ المدينـة والـذي عنونـه (غدامـس ملامـح وصـور) وقـد قـال في مقدمتـه (هـذا الجـزء الحبيـب مـن أرض العروبـة والإسـلام الـذي يحـق لـه أن يفاخـر ويباهـي غـيره باحتوائـه عـلى رفـات أحـد أصحاب[7]رسـول اللـه ﷺ ولـو لم تكـن مأثـره سـوى هـذه لـكان جديـرا بـأن توجـه إليـه العنايـة مـن الباحثـين الاجتماعيـين والمؤرخـين وغيرهـم، ولكـن لم يقـدر لـه اللـه سـبحانه وتعـالى أن ينـال حقـه مـن هـؤلاء حتـى الآن . نعـم هنـاك شـذرات كتبـت عـن غدامـس ولكنهـا ليسـت كافيـة ولا تناسـب ومكانتهـا التاريخيـة والحضاريـة ، وحتـى يوجـه هـؤلاء عنايتهـم لهـذه البلـدة الطيبـة ويعيروهـا مـا تسـتحق مـن الاهتـمام رأيـت مـن واجبي جمـع مـا تيـسر لي مـن أخبـار وأحاديـث عـن مـاضي غدامـس وحاضرهـا تاريخيـا واجتماعيـا محـاولا إعطـاء موجـز بسـيط عـن عـادات أهلهـا ونبـذة يسـيرة عـن نشـأتها وأصـل أهلهـا وكيفيـة بنـاء مسـاكنهم وكيـف يقيمـون احتفالاتهـم المختلفـة كالأعـراس والمآتـم وغيرهـا)[8]

لم يكـن راضيـا عـلى الكتـاب كل الرضـاء وهـذا حـال العلـماء الربانيـين يشـعرون دائمـا بالنقـص والتقصـير فنجـد إشـارة لذلـك في مقدمتـه لكتابـه الموسـوم (مدينـة غدامـس عـبر العصـور)[9] حيـث أشـار في مقدمتـه قائـلا : ومـن الحوافـز عـلى تأليفـه الإلحـاح الـذي لمسـته مـن الكثيريـن في طلـب إعـادة طبـع كتـاب (غدامـس ملامـح وصـور) وإن هـذا الكتـاب يحتـاج عنـد طبعـه للمـرة الثانيـة إلى إعـادة نظـر وهوامـش كثـيرة)[10]

عندمـا تـم تأسـيس مركـز جهـاد الليبيـين للدراسـات التاريخيـة اتجهـت أنظـار المؤسسـين نحـو غدامـس باعتبارهـا معروفـة في الأوسـاط العلميـة والثقافيـة بإحتوائهـا عـلى كنـوز كبـيرة مـن المـادة المصدريـة لتاريـخ ليبيـا الثقـافي والاقتصـادي [11]وباعتبارهـا بوابـة ليبيـا نحـو أفريقيـا ومارسـت الكثـير مـن العائـلات الغدامسـية التجـارة مـع الكثـير مـن المـدن غربـا وشرقـا وجنوبـا .

يقـول مترجمنـا (قـد لا نجـد في الجماهيريـة مدينـة متداخلـة عرقيـا بأفريقيـا الغربية، كمدينـة غدامـس ، ففـي هـذه المدينـة توجـد إلى الآن وإلى الأبـد عائـلات يعـود أصلهـا إلى كانـو : وسـكتو ، زبرمـا، تنمبكتـو ، وغيرهـا) [12]، وقـد أنتـج هـذا التداخـل ثقافـة أفريقيـة أصيلـة، عميقـة الجـذور، توجـد بقاياهـا بغدامـس حتـى الآن.

مـا يؤكـد مـا يرمـي إليـه أنـه قـال (تعتـبر الوثائـق مـن أهـم المصـادر التاريخيـة، لمـا تفيـده مـن معلومـات وحقائـق حـول حيـاة الشـعوب ، وطـرق المعيشـة والأدوات المسـتخدمة مـن ألبسـة وأثـاث وغـير ذلـك ومـما يعطـي الوثيقـة أهميـة وقيمـة صدورهـا بعفويـة مـن أنـاس عاديـين ليـس لهـم مـأرب ولا غايـة يخفونهـا وراء مـا يكتبـون، والوثيقـة التـي بـين أيدينـا هـي مـن هـذا النـوع ، ولم يتعـد عمرهـا المائـة سـنة ولكنهـا تعطـي صـورة حقيقيـة للحيـاة في غدامـس وقـت كتابتهـا وتشـير إلى مـدى ارتبـاط هـذه المدينـة بغيرهـا ، حضاريـا واجتماعيـا وثقافيـا).[13]

مـن خـلال هـذا المبـدأ اسـتطاع مترجمنـا أن يعمـل عـلى تجميـع مـا أمكنـه مـن وثائـق ومخطوطـات مـن بيئتـه التـي قـال فيهـا (كل مـا بغدامـس مـن الـتراث يشـير إلى أن بيئتهـا منـذ القديـم بيئـة علميـة مثقفـة فهـذه المجموعـات التـي صـورت والتـي تعتـبر نـذرا قليـلا مـن كثـير لا تنبـت مـن فـراغ فكـم مـن مقابـر غدامـس مـن ألـواح مـر عليهـا مئـات السـنين تحمـل ألقـاب العلـماء كالفهامـة والعلامـة والحـبر)[14]لذلـك كانـت أول مؤلفاتـه في هـذا المجـال كتابـه غدامـس وثائـق تجاريـة تاريخيـة اجتماعيـة عـام 1982 وقـد اسـتهل مقدمتـه قائـلا : (قـد نشـأت مولعـا بقـراءة الأوراق القديمـة والمحافظـة عليهـا في صندوقنـا الاثـري الممتلـئ أوراقـا مختلفـة الأنـواع دون أن أدرك معنـى لمـا أفعـل ، ولكننـي أشـعر وأنـا أعيـد أو أضـع ورقـة في ذلـك الصنـدوق كأننـي أحافـظ عـلى تحفـة ذهبيـة ، وكـم راودتنـي نفـسي الصغـيرة وأنـا لم اتجـاوز بعـد الثانيـة عـشر ربيعـا عـلى تمزيـق جميـع تلـك الأوراق أو حرقهـا أو رميهـا في بـئر المسـجد كـما رأيـت كثـيرا يفعلـون)[15] وكتابـه فهـرس مخطوطـات غدامـس في عـام 1986م وكذلـك وثائـق غدامـس وثائـق تجاريـة تاريخيـة اجتماعيـة في عـام1995م ـ والجديـر بالملاحظـة هنـا أنـه اتبـع في تفريـغ هـذه الوثائـق منهجـا فريـدا وهامـا بحيـث اختـار في كلا الجزئـين 150 وثيقـة يـرى أنهـا هامـة جـدا في موضوعهـا يقـوم بتصحيـح بعـض الأخطـاء الإملائيـة بهـا، ويوضـح ذلـك في الهوامـش كـما يقـوم بتفسـير بعـض الكلـمات الغامضـة عـلى القـارئ العـصري حيـث أنـه تمكـن منتعريفالقـارئ بالكثـير مـن

الكلـمات والمصطلحـات وأسـماء الأماكـن والمـواد وأسـماء الشـخصيات ولـولا هـذا الجهـد الـذي بذلـه لضاعتــوالذي لم يـره مطبوعـا حيـث صـدر بعـد وفاتـه رحمـه اللـه بعـام .

إيمانـا منـه بأهميـة الوثيقـة للتأريـخ فقـد عمـل عـلى نـشر بعـض المقـالات معتمـدا عـلى معلوماتـه عـلى الوثائـق حيثأفـرد مقـالا عنونـه بــ (أضـواء عـلى حملـة يوسـف باشـا القرامانـلي عـلى غدامـس)[16]يقـول فيـه (إن المصـادر التـي بـين أيدينـا حتـى الآن لا تعطينـا أيـة أضـواء حـول هـذه الأمـور ، ولا يعـدو أن تكـون غدامـس التـي تعتـبر نفسـها حـرة ولا تدفـع الضرائـب إلا كنـوع مـن الترضيـة لتسـلم تجارتهـا ، كفـت عـن هـذا الدفـع الـذي لم تجـد لـه مـبرر سـوى الابتـزاز والتسـلط ليـس إلا)[17] ويقـول (وبهـذه الوثيقـة [18]التـي سـتنشر لأول مـرة سـنناقش بعـض مـا كتـب عـن هـذه الحملـة لتنـير لنـا الطريـق وتسـلط لنـا بعـض الأضـواء عـلى هـذه الواقعـة)[19].

(أمـا آن للمـوت أن يرعـوى[20][21] عنـوان لقصيـدة مـن أربـع أبيـات قالهـا قبـل وفاتـه بعـام فيهـا إشـارة واضحـة بـأن لديـه الكثـير والكثـير الـذي يأمـل أن يقدمـه .

لم يتوقـف بعـد إحالتـه للتقاعـد مـن مركـز جهـاد الليبيـين للدراسـات التاريخيـة عـام 1993 بـل اسـتمر يعمـل مـع بعـض الجمعيـات المهتمـة بالـتراث وأثنـاء حضـوره لمعـرض أقيم بمدينـة بنغـازي مـرض ونقـل للمستشـفى وعـلى إثـره تـوفى رحمـه اللـه في الشـهر العـاشر مـن عـام 1994تـاركا كـما كبـيرا مـن المـادة المنشـورة حـول غدامـس وعـدد لابـاس بـه مـن المقـالات والكتـب التـي لم تنـشر حيـث قيـض اللـه لـه إبنـه البـار أبـو القاسـم للاهتـمام بموروثـه العلمـي ليعمـل جاهـدا لنـشره واتاحتـه لموائـد الـدرس .

صور للمؤرخ بشير يوشع وبعض منشوراته

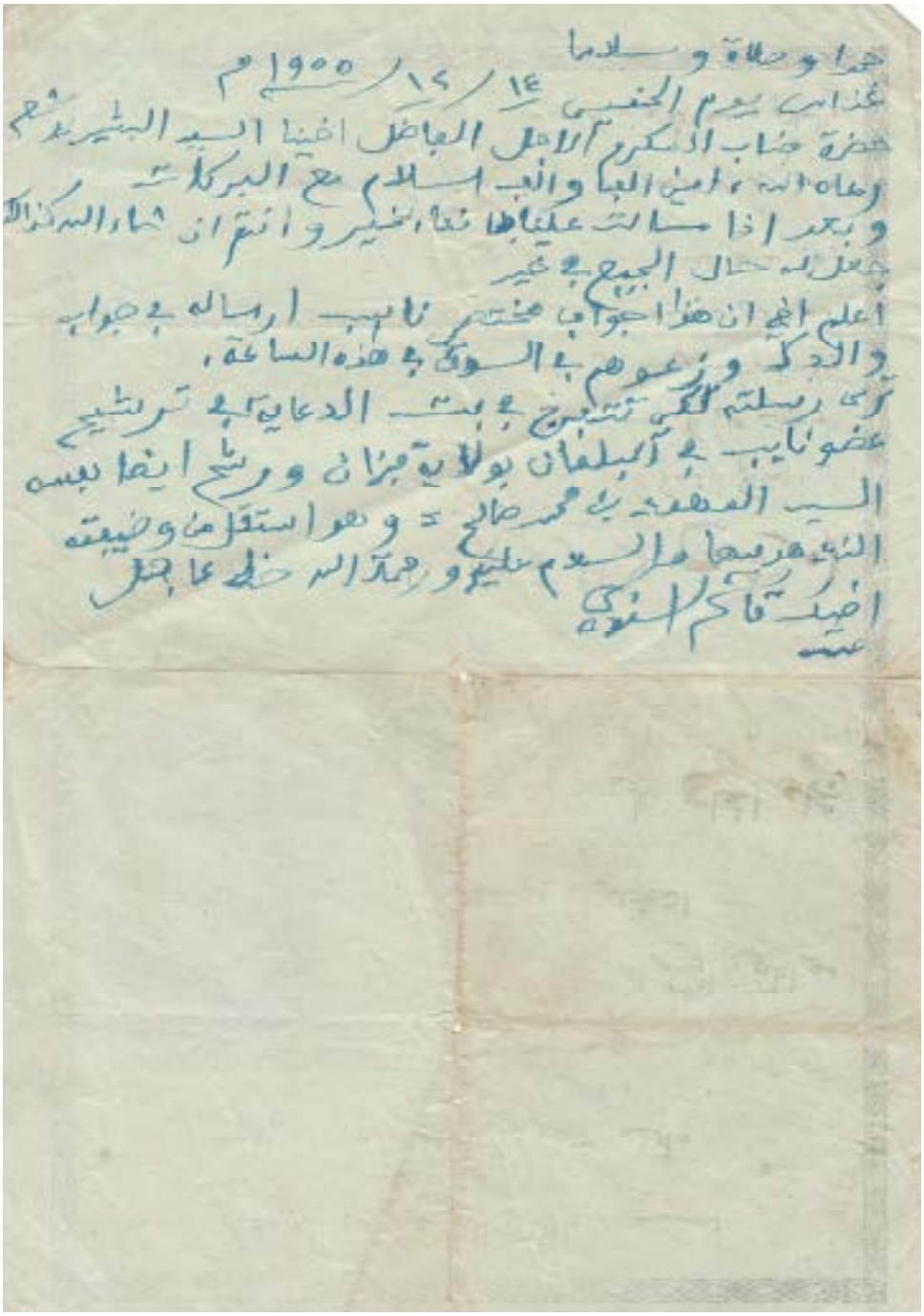

حمدا وصلاة وسلاما
غدامس يوم الخميس ١٤/١٢/١٩٠٥م
حضرة جناب الاكرم الاجل الفاضل اخينا السيد البشير قاسم
رعاه الله ، امين الباي والب السلام مع البركات
وبعد اذا سالت عليكم فنحن بخير والحمد لله كذلك
جعل الله حال الجميع في خير
اعلم اخي ان هذا جواب مختصر نابب ارساله في جواب
والدك وزعموهم في السوق في هذه الساعة ،
ترى رسلته لكي تتفرج في بيت الدعاية في تربتيح
عضو نايب في آبيلمان بولاية فزان ورشح ايضا نفسه
السيد المهدي بن محمد صالح = وهو استقل من وظيفته
التي هو فيها والسلام عليكم ورحمة الله خله عاجل
اخيك قاسم السنوكي

أحد المجالس بالمدينة القديمة (المسمى تمقدولت)

بعضا من مؤلفاته

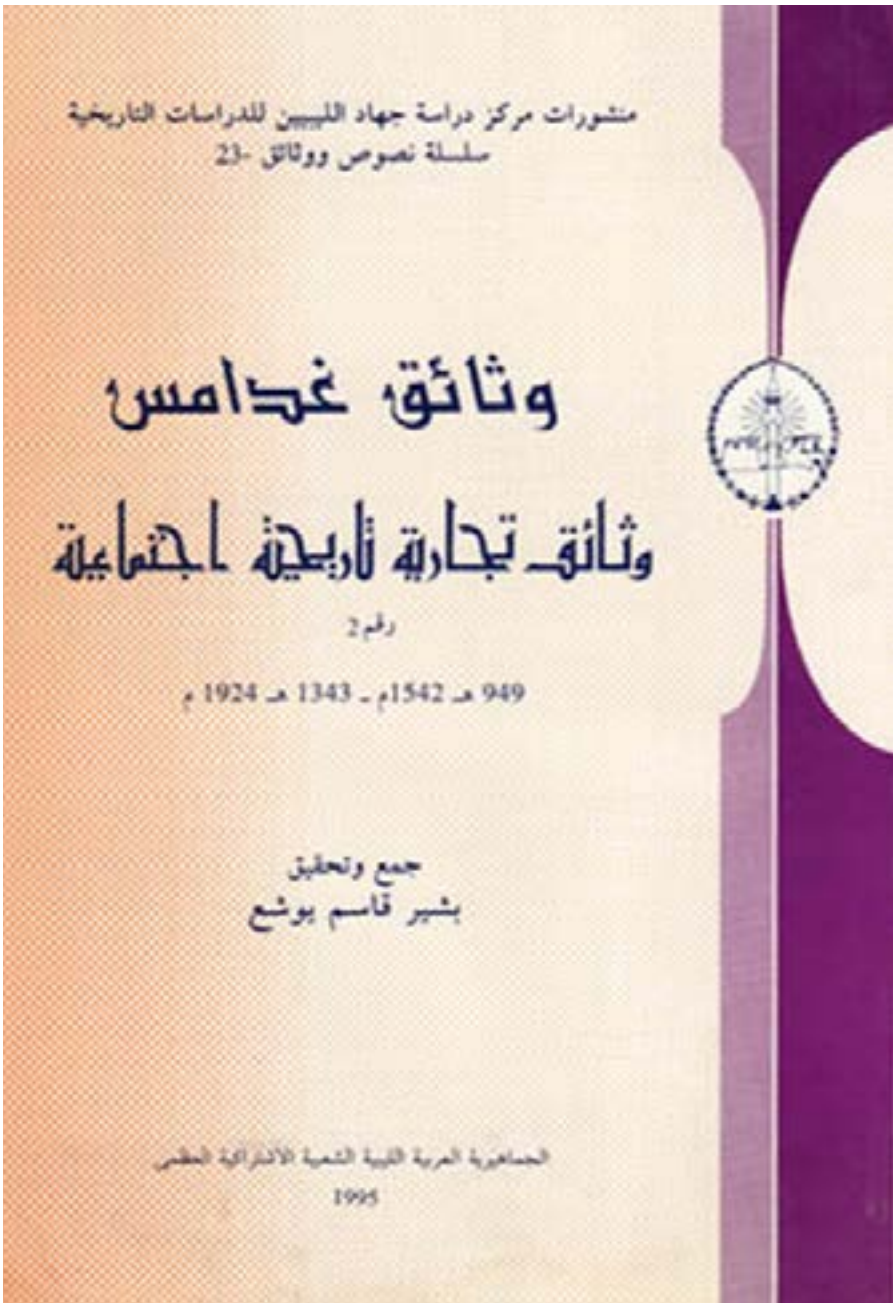

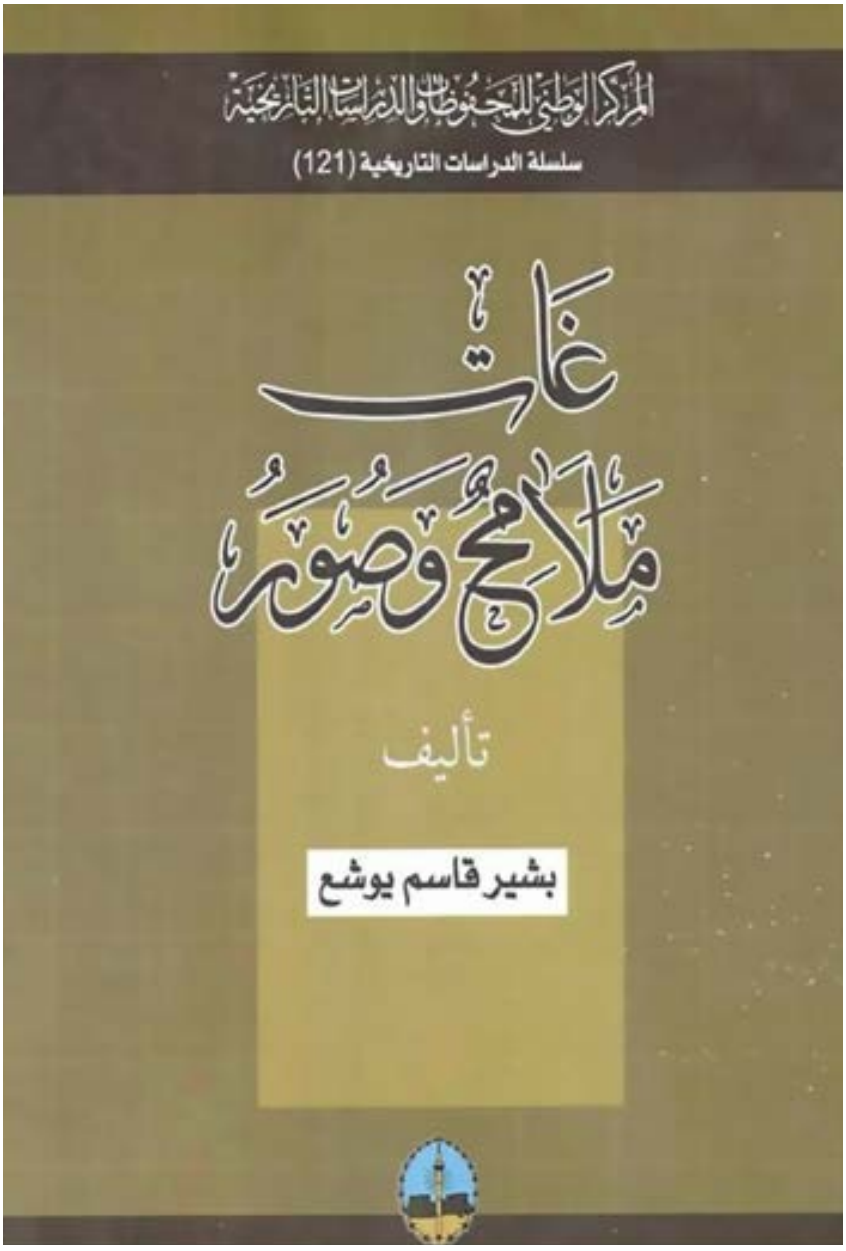
المركز الوطني للمخطوطات والدراسات التاريخية
سلسلة الدراسات التاريخية (121)
غات
ملامح وصور
تأليف
بشير قاسم يوشع

الهوامش:

(1) بشير قاسم يوشع، غدامس من البيئات العلمية الثقافية في ليبيا،أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا واقعها وآفاق العمل حولها، زليطن، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،، 1992،ص 465.

(2) بشير قاسم يوشع ، ملامح الإدارة العسكرية الفرنسية بغدامس 1943 ـ 1954 ، مجلة الشهيد ، العدد الخامس ، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، 1984 م ص 87 ـ 102 .

(3) نفس المرجع، ص 87.

(4) نفس المرجع، ص 88.

(5) بشير قاسم يوشع ،الغدامسيون في رحلة الحشائشي ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الثاني، السنة الخامسة ، يوليه 1983 م، ص 239ـ 256.

(6) نفس المرجع ، ص245.

(7) بشير قاسم يوشع ، أبو مسعود الانصاري وحقيقة صلته بغدامس ، مجلة تراث الشعب ، المجلد 1 ، العدد 1 مسلسل 22، 1399 و.ر 1990م

(8) بشير قاسم يوشع ، غدامس ملامح وصور ، الطبعة الثانية ، مطابع الفاتح، مصراته، 2001، ص 6ـ7

(9) يحتوي الكتاب على 112 صفحة تناول فيها الكاتب قسمة إلى ثلاثة فصول هي 1 لمحة سريعة عن مدينة غدامس 2 . غدامس دويلة مستقلة في العهد العثماني الثاني 3 . المعالم الاثرية وقد اعتمد في كتابه على 29 مرجعا ومصدرا وقد أضاف ابنه أبو القاسم كما ورد في التقديم سيرة ذاتية وافيه لمؤلف الكتاب وبعض الصور التوضيحية .

(10) بشير قاسم يوشع ، مدينة غدامس عبر العصور ، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، (سلسلة الدراسات التاريخية (120))، 2011، ص 11.

(11) يعود الفضل لأكتشاف المادة المصدرية بغدامس وتعريفها للوسط الثقافي الليبي للمرحوم الأستاذ الاديب الليبي على مصطفى المصراتي وذلك اثناء زيارته للمدينة عام 1968 صحبة الكاتب والعالم الشهير مصطفى محمود .

(12) بشير قاسم يوشع ، لمحات عن العلاقات الثقافية والاجتماعية والعرقية بين غدامس وغرب افريقيا ، اعمال ندوة دور الثقافة والتعليم في تحقيق التقارب بين شعوب افريقيا ،

(13) بشير قاسم يوشع ، تقسيم تركة أحد مواطني غدامس في أواخر القرن التاسع عشر كما جاء في احدى الوثائق مجلة البحوث التاريخية، السنة السادسة ، العدد الأول، يناير 1984 م.

(14) بشير قاسم يوشع ، غدامس من البيئات العلمية والثقافية في ليبيا ، أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا واقعها وافاق العمل حولها، زليطن، 1988، الجزء الأول ، وقف على نشرها وقدم لها عمار جحيدر ، 1992 م.

(15) بشير قاسم يوشع ، غدامس وثائق تجارية تاريخية اجتماعية ، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ،1982، ص19.

(16) بشير قاسم يوشع ، أضواء على حملة يوسف باشا القرامانلي على غدامس ، مجلة الثقافة العربية رقم 1، 2، السنة الحادية عشر ، 1984 م ص 67 ـ 71 .

(71) نفس المرجع، ص 69.

(18) وثيقة إقرار اتفاق بين محلتي غدامس بني وليد وبني وازيت من القاضي الشيخ الفقيه سيدي على بن سيدي عبد الله بن محمد بن مدور وهي تتضمن اعترافا بحكم يوسف باشا قبل وصول حملته الى غدامس ، مؤرخة أواسط اول الربيعين 1233.

(19) نفس المرجع، ص 69.

(20) أن يكف .

(21) عنوان لقصيدة من ديوان شعر للمؤرخ الشاعر بشير يوشع بعنوان (الى الحياة) يحتوي على 80 قصيدة لم ينشر ، تكرم ابنه قاسم باطلاعي علية والاستفادة منه وهذه القصيدة إشارة الى ان الكاتب حس بدنو اجله ولا زال من ممايعطي الكثير .

الفصل الثالث

إسهامات بشير قاسم يوشع
في توثيق وكتابة التاريخ المحلي الليبي

إسهامات بشير قاسم يوشع
في توثيق وكتابة التاريخ المحلي الليبي

د. فائح رجب قدارة

مقدمة:

مرجعيات نشأة التاريخ المحلي:

على الرغم من التطور المتزايد في إنتاج المعرفة التاريخية الليبية التي ينتجها المؤرخون الأكاديمون والهواة، فإن الاقتناع يتزايد بأن التاريخ الحقيقي الذي من الواجب الوقوف عليه، من خلال دراسة نشاط المجتمعات المحلية وعلاقاتها مع محيطها في بيئتها المحلية والوطنية، ويُعدّ هذا النسق المحلي من الكتابة التاريخية لدى كثيرٍ من المؤرخين، التاريخ الحقيقي، والأخصب والأفيد في إعادة كتابة التاريخ الوطنيالواجب الوقوف عليه، من منطلق الحفاظ على الذاكرة الجمعية للوطن من خلال الجزئيات المحلية والإقليمية[1]، ويعتقد بعض الباحثين أن العناية بـ «التاريخ المحلي» ينشطُ عملية الكتابة التاريخية الوطنية، ويجعلها تأخذ صفة العمق والدقة في معالجة الأحداث، وضرورة توظيف صفة المحلية في البحث التاريخيمن خلال الاهتمام بمنطقة أو بيئة معينة كان لها التأثير في سيرورة الحدث الوطني،ويُعد هذا في حد ذاته إسهاماً مهماً في كتابة التاريخ الوطني من زاوية التاريخ المحلي، وتعدّ نقطة إيجابية وإضافة علمية في انتاج المعرفة التاريخية[2].

قد تعددت تعريفات التاريخ المحلي من حيث أصالته ومرجعيات نشأته في الحضارة العربية الإسلامية، حيث يُعد التاريخ المحلي(local history) أحد أهم أنواع الكتابة التاريخية التي تمتد بجذورها إلى أعماق المدرسة التاريخية العربية الإسلامية[3]، ويعرف عند البعض «بتاريخ المدن»[4]، ويقصد بهذا النوع من الكتابة التاريخية، تلك المدوّنات التاريخية والتوثيقية التي تختص بكتابة تاريخ مدينة معينة، وتستخدم في

هـذا التدويـن توليفـة مـن المصـادر المحليـة تتداخـل فيهـا الوثائـق والروايـات الشـفوية والأسـاطير المتوارثـة مـع الشـواهد الأثريـة والعمرانيـة الماثلـة للعيـان، التـي تشـكل في مجموعهـا الذاكـرة الجمعيـة للمدينـة أو الموضـع المـؤرخ لـه، وهـذا يعنيأنيقتصرالمؤرخفيكتـا باتهواهتماماتـه علىالتأريـخ للمجـال المـكاني والاجتماعـي الـذي ينتمي إليه،ويدخـل في التاريخ المحـلي تواريـخ الأسرة، وتراجـم الأعـلام لـذات المجـال محـل اهتـمام المـؤرخ، ومـن هنـا تـأتي الأهميـة والخصوصيـة التـي تكتـسي التاريـخ المحـلي بالنظـر الى مـا يوفـره مـن آلياتمتبعـة في جمـع المـادة المصدريـة وتنوعهـا ومعرفـة باحثـي التاريـخ المحـلي الوثيقـة الصلـة بمعطيـات ودقائـق البيئـة المحليـة المـؤرخ لهـا.

أمـا بشـأن المؤرخـين المتصدريـن للكتابـة التاريخيـة المحليـة فغالبـا مـا يكونـون مـن أحـد أبنـاء تلـك المدينـة أو الموضـع، حيـث يكـون هـذا الانتـماء الاجتماعـي والجغـرافي عامـل قـوة للمـؤرخ الأكاديمـي أو الهـاوي في معرفـة تاريـخ المدينـة ورجالاتهـا ومحيطهـا البيئـي والاجتماعـي والاقتصـادي[5]، وهـذه الميـزة شـكلت في ذات الوقـت مثلبـة رئيسـة في كتابـة التاريـخ المحـلي، حيـث يعتقـد بعضهـم أن مرجعيـة ظهـور التاريـخ المحلي في سـياق المدرسـة التاريخيـة الإسـلامية يرجـع إلى الاهتـمام بالمآثـر والأنسـاب القبليـة، وظهـور العصبيـات المحليـة للأمصـار[6]، وحالـة تعظـم النزعـة الكيانيـة المحليـة في الامصـار والمواضـع في تـراث المدرسـة التاريخيـة الإسـلامية، وفي راهـن بعـض الكتابـات التاريخيـة المحليـة المنشـغلة بخلـق حالـة الـصراع مـع الآخـر الشريـك في المجـال والوطـن. وعـلى الرغـم مـن البعـد التاريخـي لتجربـة الكتابـة التاريخيـة المحليـة فـإن هـذا النـوع مـن المدونـات التاريخيـة لا يـزال يحظـى بكثـير مـن الاهتـمام والمتابعـة عـلى مختلـف الصعـد، لاسـيما وأن الاتجاهـات الحديثـة في إنتـاج المعرفـة التاريخيـة ردة الاعتبـار لهـذا الاتجـاه التأريخـي، مـن منطلـق أن الإطـار المحـلي يُعـد الإطـار المـكاني الأمثـل لإنتـاج المعرفـة التاريخيـة[7]، بحثـاً عـن تاريـخ مجهـري أكـثر واقعيـة وقربـا مـن الحقيقيـة ومعرفـة بالإطـار الزمـاني والمـكاني للمواضـع المـؤرخ لـه، ومحاولـة فهـم المجتمـع المحـلي في جزئياتـه الدقيقـة بعيـدا عـن التجاذبـات السياسـية مـن أجـل وضـع القواعـد الرئيسـة لبنـاء معـالم التاريـخ الوطنـي بنـاءً عقلانيـاً، انطلاقـا مـن أن دراسـة التاريـخ جـزء مهـم لا يتجـزأ مـن العنـاصر التـي يقـوم عليهـا تطـور المجتمـع أو انحطاطه[8].ولكـن أيـن نحـن الليبيـين مـن تجربـة كتابـة التاريـخ المحـلي للمـدن والمواضـع والأقاليـم الليبيـة ؟، وماهـي معـالم تجـارب الليبيـين في كتابـة التاريـخ المحـلي ؟،

تساؤلات كلية تقود بالضرورة إلى جزئيات أكثر تعقيداًمن الناحية المنهجية والمعرفية، نظرا لأن الليبيين من الشعوب التي « تعاني من قسوة التاريخ»[9]، وحضور هذا التاريخ في راهنهم، ومحاولاتهم العفوية والمبرمجة لإعادة بناء تاريخهم وصياغته من خلال حاضرهم وأزماته المتلاحقة.

لذلك فإننا اتخذنا من مبحث « الليبيون وكتابة التاريخ المحلي»مدخلا عمليا لإعادة قراء تجربة مؤرخنا (بشير قاسم عبد الله يوشع 1930-1994م) ومشروعه البحثي الغدامسي الممتد الذي أفنى حياته من أجله وترك لنا مآثر تاريخية يصب أغلبها في سياق ريادته في كتابة التاريخ المحلي الليبي في بعديها الواحي والصحراوي[10]، الذي ظل بعيدا عن اهتمامات المؤرخين الأوائل الذين كانوا منشغلين بالحواضر الساحلية من منطلق أنها مركز الحدث التاريخي الليبي ومحوره.

المؤرخون الليبيون وكتابة التاريخ المحلي:

يُنسب للمفكر الروسي (نقولا برديف) ملاحظته الجوهرية القائلة بأنعهود النكبات في التاريخ الإنساني كانت دائما حافزة على التفكير في الماضي وفي المصير، ومثيرة للاهتمام في تفسير التاريخ وتعليله[11]، ولو سلمنا بهذه الملاحظة وحاولنا قراءتها في ضوء التجربة الليبية في إنتاج المعرفة التاريخية، لوجدنها أنها تتطابق كثيرا معها، لا سيما فيما يتعلق بثنائية النكبات وإنتاج المعرفة التاريخية، والتي كان مؤرخنا بشير قاسم يوشع مدركا وواعيا لها، بل يذهب إلى القول بأن تجربة النكبات الليبية الدورية المتتالية قد تكون الأسوأ في تجارب الشعوب الإفريقية في تاريخها الطويل مع السيطرة الأجنبية ومع الاستعمار الحديث، حيث نكبت ليبيا بثالوث الاستعمار الغربي الأكبر[12]، وهي النكبات التي كانت لها انعكاساتها السلبية على الحياة العلمية والثقافية الليبية عبر العصور، ومرجعية قلة الإنتاج المعرفي في مختلف مناحي الحياة الليبية حتى منتصف القرن العشرين، وظهور المحاولات الفردية من أجل الانبعاث والنهضة الليبية المعاصرة التي أخذت تبحث في التراث والتاريخ الليبي في محاولة لإحيائه[13]. وكانت النخب الليبية المثقفة في لحظة مولد الدولة الوطنية تحت هاجس خفي كثيراً ما أرق المثقفين الليبيين، وهو هل لليبيا والليبيين رصيد ثقافي وطني يمكن أن يؤرخ له؟ وما مدى حقيقة وجود الكيان التاريخي للوطن الليبي؟،هاجس شكل دافعاً وتحدياً ثقافياً استجاب له المثقفون،وكان الهدف الأساسي المعلن وغير المعلن أحياناً هو الرد

عـلى الطـرح الـذي يـرد في كثـير مـن المصنفـات العربيـة والأجنبيـة، الـذي يصنـف البيئـة الليبيـة بالتصحـر الثقـافي، والتـي يلخصهـا لنـا الدكتـور أحمـد مختـار عمـر بقولـه: «إن ليبيـا الإسـلامية لم يكـن لهـا أي دور ثقـافي وإنهـا لم تشـترك في دفـع عجلـة البحـث العلمـي إلى الأمـام، ولهـذا لم يجـد الباحثـون مـا يكتبونـه عنهـا في هـذا الخصـوص»[14]، وهـذا مـا يـرد عليـه مؤرخنـا بشـير قاسـم يوشـع بالقـول: « إن اصابـع الاتهـام بالسـلبية الثقافيـة كثـيراً مـا وجهـت نحـو ليبيـا، وبأنهـا لم يكـن لهـا نشـاط في البحـث العلمـي كجاراتهـا شرقـاً وغربـاً، رغـم أنهـا جسـر العبـور الإسـلامي إلى بقيـة أقطـار مغربنـا العـربي ... ومـن البديهـي أن نقـول إن هـذا الاتهـام غـير صحيـح،إذ أن لهمـزة الوصـل مكانتهـا الثابتـة دائمـاً «[0]. وفي خضـم هـذا التحـدي تبلـور المـشروع الثقـافي الليبـي، حيـث انـبر ثلـة مـن المثقفـين الليبيـين في البحـث في مرتكـزات الشـخصية الحضاريـة للكيـان الليبـي، والهويـة الجماعيـة المسـتقرة مـن خـلال البحـث في التاريـخ الليبـي المديـد والعمـل عـلى إحيائـه، بحيـث صـار هاجـس التاريـخ الليبي كحالـة مـن حـالات المناجـاة بـين المثقفـين الليبيـين ووطنهـم لأجـل تأكيـد حقيقـة الكيـان الليبـي والشـخصية الوطنيـة لهـذا الوطـن[15]، وكانتالاسـتجابات لهـذا التحـدي الثقـافي عديدة، شـكلت في مجموعهـا المـشروع الثقـافي الوطنـي الليبـي، وكان المؤرخـون الهـواة والعصاميـون جـزء اسـاسي وناظـماً لهـذا المـشروع الـذي لا يمكـن اسـتيعاب طفراتـه ونكباتـه ومآثـره وانشـغالاته التـي لا يـزال أغلبهـا يشـكل انشـغالات المشـهد الثقـافي والاجتماعـي والسـياسي الليبـي الراهـن[16]، والتـي كان في مقدمتهـا مراكمـة الكتابـات التاريخيـة الوطنيـة في مختلـف مسـتوياتها الوطنيـة و الإقليميـة والجهويـة، والمحليـة، تجربـة امتـدت لأكـثر مـن سـبعين سـنة مـن ظهـور الكيـان السـياسي الليبـي. ولكـن هـذه المحـاولات الإحيائيـة المبكـرة جوبهت بعـدد مـن العراقيـل التـي كان مـن أبرزهـا قلـة ومحدوديـة المدونـات الليبيـة ذات الصبغـة المصدريـة التأريخيـة، التـي ذهـب المؤرخـون الأوائـل مذاهـب شـتى في تعليلهـا، ومنهـا تلـك الأحـكام القاسـية التـي حتمتهـا التجربـة السياسـة، ومـا ترتـب عليهـا مـن قلـة المدونـات في مختلـف مناحـي الحيـاة[17]، لا سـيما المدونـات التأريخيـة، فيـما يعتقـد البعـض أن ذلكمـردّه إلى ضعـف الحـسّ التوثيقـي لـدى الليبيـين والـذي ترتـب عليـه ضيـاع الكثـير مـن تفاصيـل تاريخنـا الوطنـي بسـبب ضعـف هـذا الحـس التوثيقـي بحسـب رؤيـة المـؤرخ والاديـب خليفـة التليـسي[18]، ولسـد النقـص الواضـح ذهـب كتـاب التاريـخ الأوائـل مـن الليبيـين مذاهـب شـتاء في تدويـن التاريـخ الليبـي، ومـن خـلال مبـادرات فرديـة للنخـب المثقفـة

التقليدية، للإسهام في الكتابة التاريخية الوطنية، لا سيما خلال مرحلة التأسيس للكيان الوطني والبحث عن الذات الوطنية، وكان لكل منهم دوافعه واهتماماته للانخراط في إنتاج المعرفة التاريخية بحسب تكوينهم المعرفي ومصادرهم المتاحة، ومقتضيات لحظة الكتابة الاجتماعية والسياسية، والثقافية وعدت تلك المؤرخات في حينها إنجازاً ومحاولة جادة لكتابة التاريخ، وكان من معالمها الرئيسة كتابة التواريخ المحلية للحواضر والمدن الليبية. وإن كانت هذه الحصيلة السبعينية لم تحظ حتى الأن بدراسة تقويمية وتقييمية لإنتاجها الذي عرف في العقود الليبية المتلاحقة انحرافاتومنزلقات متتالية تتعارض مع المنطلق الأساسي لكتابة التاريخ المحلي()، والتي يجمع المنظرون للدراسات التاريخية بأن الكتابات المحلية من المفترض أن يكون هدفها الرئيس هو الإسهام في كتابة التاريخ الوطني أو القومي، أي الانطلاق من الجزء إلى الكل، بل أضحت بعض تلك الكتابات المحلية الليبية المتأخرة ساحة تبحث عن تاريخ الكيان المحلي المناطقي أو القبلي، المجاهد او المقاوم والمناضل، في محاولات واضحة وغير عقلانية لإقصاء الآخر الشريك في المجال الجغرافي وفي المصير والوطن[19]، وشاع ظهور شعبوية المؤرخين المناطقيين والقبليين الذي يحظونوتحظى مؤرخاتهم الانطباعية بالاهتمام والترحيب[20]، وبما يخالف ويتباين تماماً مع مؤرخات التاريخ المحلي التي عرفتها ليبيا في عقدي الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي والتي يغلب عليها الكتابة في التاريخ المحلي من أجل أثراء التاريخ الوطنيوتدعيمه[21].

لقد كان الدافع الرئيس للكتابة في التاريخ المحلي لدى الليبيين إحساسهم بالانتماء والولاء لهذا الجزء أو ذاك من الوطن الليبي، وشعورهم بعدم الاهتمام بالتاريخ لهذا الجزء المحلي الإقليمي أو المناطقي، ولعل أقدم هذه الإشارات لإهمال التواريخ المحلية في بعده الليبي ما يصرح به الشيخ (أحمد الدردير الحضيري 1875- 1910م) الذي قدم لكتابه الذي يجمع بين الكتابة التاريخية المحلية والتراجم المناقبية بقوله:» ورأيت أهل فزان لا اعتناء لهم بتاريخ ذكر أحوال العلماء ولا يجمعون مناقب الصالحين ولا تجد من يعتني بهذا الباب»[22].

إن فرضيةإهمال التأريخ وتهميشه للتخوم والأطراف البعيدةعن المراكز الحضرية الرئيسة، كانت الفرضيةالناظمة والدافعة لأغلب مؤرخي التاريخ المحلي،واضحت منطلقا للكتابات التأريخية المحلية الليبية اللاحقة، أغلبها كان منشغلاً بالخصوصية

والهوية المحلية[23]، على حساب التأريخ والهوية الوطنية الجامعة لكل الليبيين، حتى إن كانت النواحي المؤرخ لها مواضع محددة المساحة الجغرافية لا يمكن أن تصنع الحدث التاريخي في قطيعة عن محيطها[24]، ولكن ترعرع النزعة المحلية والتي كانت الموجه الرئيس لأغلب تلك الكتابات التأريخيةعلى حساب النزعة الوطنية، بل إن بعضها يؤسس لحالة التميز الاجتماعي بين مكونات المجتمع الليبي ويعيد ترتيبها وتراتبيتها بحسب الأصول الاجتماعية التي ينحدر منها[25]، والأسوأ في نماذج الكتابة التاريخية المحلية الليبية التي أمكن الاطلاع عليها محاولتها لتجذير واستدعاء حالة الصراع والتنافر الاجتماعي التاريخية وتضخيمها في سبيل تعظيم وتلميع الذات المحلية الضيقة[26].

ثمة نماذج كثيرة من المؤرخات المحلية الليبية التي تثير العديد من الإشكاليات المنهجية حول التداخل الكبير بين شخصية المؤرخ، وشخصيته الوطنية التي هي محصلة عوامل اقتصادية وبشرية وتاريخية وثقافية واجتماعية معينة، تشكلت على مدى التاريخ الليبي الطويل وانعكست على شخصية أفراده، والتي تتصف عموماً بنوع من المعاندة، والمكابرة التي صبغتها البيئة الليبية على الليبيين، ومنهم من تصدوا للكتابة التاريخية، الذين يغلب على مؤرخاتهم صفة المعاندة، والكتابة التاريخية العاطفية الممجدة لقواعدهم الاجتماعية المنحدرين منها، سواء أكانت قبلية ريفية أم بدوية، أم حضرية، أم إقليمية، حيث حُصر اهتمامات هذه المؤرخات فيالتاريخ المجاهد أو المقاوم للأجنبي كمراحل جذابة للكتابة التاريخية في مختلف العصور، بعدّ تلك المجاهدة والمقاومة ممثلةللماضي المجيد الذي يوظف لتعزيز الحاضر، وهذا الحصر والاهتمام انفرط عقده إلى التشتت التدريجي نحو مؤرخات تتناول جزئيات قبلية، ومناطقية، وشخصية تحت تأثيرات سياسية تحاول كل منها التأريخ للمقاومات المناطقية والإقليمية، وتعتمد بإدراك كامل على توزيع الاتهامات، واختلاق الروايات البطولية للجماعة أو المنطقة المنتمي إليها الكاتب أو المؤرخ، حتى أضحت بعض المؤرخات في دائرة التاريخ العبء على المشروع الوطني الليبي الجامع لكل الليبيين. وإذا كنا نعتقد أنازدهار المؤرخات المحلية تعبر في الغالب عن حالة من حالات الردة نحو المحلية، وقواعد الانتماء الاولية القاعدية، وكتعبير عن هاجس القلق العميق لدى هؤلاء «المؤرخين» من ظهور ملامح تعثر المشروع الوطني،... وندرك أن هذه الآراء

والتصورات التقييمية تظل انطباعية، وفي حاجة ماسة إلى دراسة تقويمية شاملة لنتاج المدرسة التاريخية الليبية في حقل التاريخ المحلي، أو تاريخ المدن والمواضع والجماعات القبلية، والتكوينات الاجتماعية المحلية، حيث إننا نعتقد بأن حصيلة نتاج مؤرخنا بشير قاسم يوشع كانت تختلف تماماً عن نماذج التوجهات المحلية المشار إليها سلفا.

بشير قاسم يوشع: المؤرخ العصامي و مشروعه الغدامسي:

على الرغم من ثراء تراث بشير قاسم يوشع، تأريخا، وتحقيقا، وتنظيرا للكتابة التاريخية الليبية، فإن الباحث يجد نفسه أمام ندرة واضحة في المعطيات الشخصية لهذا المؤرخ العصامي المنتج للمعرفة التأريخية والتراثية ، ولعله تسامى في خضم نشاطه البحثي عن نسج ترجمة ذاتية أو مناقبية لشخصيته كما اعتاد ان يفعل بعضهم، بل اكتفى بأن تعرفّ به معشوقته غدامس، التي اصبحت -في تقديرنا-مدخلا للتعريف بشخصيته البحثية،وأصبح بدون منازع «رائد البحث في التاريخي الغدامسي»[27]، وعنواناً لتراث المدينة وأصالة حضورها في الحدث الوطني، وصلاتها التاريخية على ضفتي الصحراء الكبرى الإفريقية.

كان بشير يوشع كغيره من المثقفين الليبيين الذين ولدوا في النصف الأول من القرن العشرين، وبعيداً عن مراكز السلطات الاستعمارية الحاكمة ومؤسساتها التعليمية، لذلك كغيره من أبناء جيله اعتمد في تكوينه العلمي على عصاميته، ومؤسسات التعليم المحلية التي نال منها معارفه الأساسية الأولية في كتاتيب غدامس الأهلية العامرةومساجدها، وهي من البيئات العلمية والثقافية الليبية[28]، ومن الواضح أن النزعة الشخصية نحو العلم والمعرفة كانت حاضرة مبكرا في شخصيته، حيث «علَّم نفسه ذاتياً حتى أصبح كاتبا متواضعاً، مجتهدا جريئا،.. لم يتخرج من كلية جامعية، ولم يَنَلْ شهادة تعليمية رسمية، بل تخرج من مدرسة الحياة واكتسب مهارة في الكتابة وخبرة في جمع وتنظيم المعلومات»[29]،وهذه حالة ليبية عامة لجيل النخب الثقافية التي تركت بصمة حاضرة في التراث والأدب الليبي المعاصر. وتُعد مسألة المؤرخين العصاميين والتكوين الذاتي أمراً متعارفاً عليه بين أغلب المثقفين المؤسسين للحياة الثقافية الليبية المعاصرة، ولعل في مقدمتهم المؤرخ محمد مصطفى بازامة[30]، والأديب والمؤرخ خليفة التليسي[31]، وكثيرا ما آثار حضور مدونات المؤرخين الهواة التأريخية وكثافتهاالجدلحول من هو المؤرخ الأمثل، هل هو الجامعي المتخصص في الدراسات

التاريخية ؟، أو الهواة الذين أنجزوا وأنتجوا مؤرخات كثيراً ما تتفوق على ما أنتجه الأكاديميون «المحترفون»[32]، وهذا الجدل الدائر في الدراسات التاريخية الذي أنتج كثيراً من الألفاظ والمصطلحات الإقصائية من قبيل: المؤرخين الهواة[33]، والمثقف الهاوي الذي يبني نفسه، ويتسلح بأدوات ومناهج البحث العلمي، ويقدم على الكتابة الثقافية والتأريخ بكفاءة عالية، بحيث أضحت أعمالهم التاريخية علامة بارزة ومهمة في التاريخ الليبي. ولعل هذه الخشية من جدل التصنيف كانت حاضرة لدى مؤرخنا بشير يوشع، الذي حرص على وصف جهوده التأريخية والتوثيقة، من جمع وتحقيق للوثائق والمخطوطات، بل كان يتمسك بأنه» لا يعتبر نفسه مؤرخاً، بل جامع للمعلومات فقط، وأنه ليس أهلا لهذا العمل العظيم»[34]، وهذه حالة أخرى من حالات الزهد في السعي وراء الألقاب العلمية التفخيمية التي تصرف الكثيرين عن ميادين البحث والتنقيب، ونجد حالة التواضع تصل بمؤرخنا إلى الإعلان بأنه غير أهل لمهمة التأريخ لمدينته، حيث يقدم لكتابه الصادر سنة 1972م بالقول: « هذا وأنا أعلم أنني لست أهلا لمثل هذا العمل العظيم»[35]، وفي كثير من مواضع مقالاته يبرز حالة التواضع والاعتذار من المتلقي، والتي قد يعتقد بعضهم بأنها من التواضع المبالغ فيه، ولكننا نجزم بأن هذا التواضع لا يختص به بشير قاسم يوشع لوحده بل هو من الطبائع والسجايا الأخلاقية التي جبل عليها الغدامسية عبر التاريخ، وهي جواز مرورهم وقبولهممن سواحل البحر المتوسط إلى سواحل غرب القارة الإفريقية.

لقد كان لوضوح رؤية بشير قاسم يوشع لمشروعه البحثي، وحالة الوفاء العاطفي والوجداني لمسقط رأسه « غدامس» وخصوصيتها الحضارية والثقافية، فهذه الواحة في اعتقاده الجازم جزء حاضر ومؤسس للحدث التاريخي الليبي، وتكتسب خصوصيتها من أنها من التخوم الليبية التي كانت دائما أحد أهم قنوات التواصل التجاري والاجتماعي مع القارة الإفريقية، لا سيما غرب القارة، وبالنتيجة فإن تلك الخصوصية المستمرة في تراث المدينة المادي والاجتماعي وحضور المؤثرات الحضارية والاجتماعية الافريقية في غدامس[36]،والتيتعامل معها بعدّها من مناطق التخوم[37]، التي من الضرورة بمكان التوثيق والتنظير لأصالة انتماء هذا المجال الجغرافي والاجتماعي للوطن الليبي، والتي كانت القضية المحورية والخفية التي تجمع بين أغلب مؤرخاته، بل يحصّن نفسه عن أي اتهام بـ « الإقليمية أو الفردية»[38]ـ

يقـول أحـد المفكريـن في قضايـا التاريـخ: « قبـل أن تـدرس التاريـخ ادرس المـؤرخ، وقبـل أن تـدرس المـؤرخ ادرس بيئتـه التاريخيـة والاجتماعيـة، فالمـؤرخ بكونـه فـرداً هـو أيضـاً نتـاج للتاريـخ والمجتمع»()،وقـد نـترك العنـان للتأويـل الحـدثي لكتابـات يوشـع الغدامسـية، في محاولـة لمعرفـة الدوافـع الخفيـة لمـشروع يوشـع البحثـي، مـع أننـا لا نملـك المصـادر الأساسـية حـول الأبعـاد السياسـية لهـذا المـشروع، ولكـن الإشـارات التـي بـين أيدينـا تحيلنـا إلى أن تبلـور مـشروع غدامـس البحثـي كان في لحظـات حساسـة في العلاقـات الليبيـة المغاربيـة، والتـي عرفتهـا المنطقـة منـذ نهايـة الخمسـينات، وتصاعـدت عنـد نجـاح الثـورة الجزائريـة سـنة 1962م، وبدايـة رحيـل القـوات الاسـتعمارية الفرنسـية. وليبيـا ومحيطهـا الجغـرافي كغيرهـا مـن دول القـارة الإفريقيـة التـي ورثـت بعـد الاسـتقلال مشـاكل الحـدود السياسـية[39]، لاسـيما مـع محيطهـا مـن المسـتعمرات الفرنسـية السـابقة[40]، ويرجـع ذلـك إلى تداخـل الحـدود وعـدم وضـوح معالمـه بـين الـدول المغاربيـة، نتيجـة التركـة الاسـتعمارية في رسـم الخرائـط الحدوديـة الدولية،والتـي تركـت مائعـة في محيـط التخـوم الليبيـة الجزائريـة التونسـية[41]، وكان «التاريـخ الغدامـس»، منـذ القـرن التاسـع يحيـل إلى تلـك المحـاولات المسـتميتة لاقتطـاع غدامـس، هـذا الجيـب الليبـي المتطـرف غربـا في مثلـث الحـدود الليبيـة الجزائريةالتونسـية، والعمـل عـلى ضمـه إلى المجـالات المتاخمـة في الجزائـر، أو تونـس، حيـث بذلـت الإدارة الاسـتعمارية الفرنسـية في الجزائـر جهـوداً محمومـة للاسـتحواذ عـلى غدامـس ومجالهـا الجغـرافي، كان أخطرهـا توقيـع (معاهـدة غدامـس) في 26 أكتوبـر 1862م[42].

جـددت هـذه الاطـماع في غدامـس عقـب فـرض الحمايـة الفرنسـية عـلى تونـس، حيـث بـرزت تلـك الاطـماع مجـدداً في سـنة 1896م، في سـياق محـاولات الفرنسـية لربـط تونـس بالسـودان الفرنـسي، وإحيـاء طـرق القوافـل التجاريـة مـع السـواحل التونسـية[43]، وقـد تقمصـت وتبنـت أغلـب الـدول المغاربيـة والإفريقيـة تلـك الخلافـات الحدوديـة المتوارثـة مـن المرحلـة الاسـتعمارية عقـب اسـتقلالها، منهـا بـين ليبيـا والجزائـر حيـث طرحت مشـكلة ترسـيم الحـدود لاسـيما الجزائريـة الليبيـة سـنة 1963م ولكنهـا أجلـت إلى أجـل غـير مسـمي[44]، وتحـت ضغـط التوجهـات القوميـة الوحدويـة كانـت مسـألة الحـدود الليبيـة غـير المرسـمة غـير مطروحـة في بعدهـا الرسـمي، ولكـن باحثيالـدول المسـتقلةومؤرخيهم بذلـوا جهـودا بحثيـة في محاولـة تهيئـة الأرضيـة التاريخيـة لمشروعيـة المطالـب الحدوديـة.

ومـا يحسـن الوقـوف عنـده هوسـؤال يطـرح نفسـه: هـل كان بشـير قاسـم يوشـع في

مشروعه الغدامسي تدفعه هواجس حاضرة وخفية حول أصالة انتماء المجال الجغرافي والاجتماعي الغدامس للوطن الليبي؟، بكل تأكيد فإنه في وسط تغييب الوثائق الرسمية حول مسألة الحدود الليبية لا يمكن الجزم بهذا الاعتقاد، إلا أن المتمعن في نتاج بشير يوشع التوثيقي والتأريخي، في عديد المواضع يلمس حضور وهواجس حول أصالة انتماء غدامس لليبيا، حيث تحرك المؤرخ في الكتابة حول منطقة من مناطق التخوم الليبية[45]، وفي استخدامه لمصطلح «التخوم»ودلالاته التاريخية والجغرافية والسياسية، حيث إن موقع غدامس يمثل أقصى الواحات الليبية تطرفاً نحو الغرب عند الحدود الدولية الليبية الجزائرية التونسية[46]، ونجده في مواضع أخرى يفند بشير يوشع خروج غدامس عن سلطات طرابلس الغرب لا سيما تفنيده وثائقياً للراي القائل بخروجغدامس عن سلطة يوسف باشا القرمانلي والادعاء بأن الغدامسية قد دفعوا الضرائب لباي تونس في مطلع القرن التاسع عشر[47]، والعديد من الإشارات التي ترد عرضا في مؤرخات بشير يوشع وتحيل القارئ إلى هواجس شحنت بها كتاباته والتي تم صياغتها بذكاء ووعي حول أصالة الجيب الغدامسي للوطن والسلطة الليبية حتى في الحقب التي سبقت مولد الدولة الوطنية في هذه المجالات.

إن حالة الانتماء الوطني، وظاهرة التصحيح ودفع الشبهات عن حقيقة الانتماء التاريخي لغدامس والغدامسية إلى المجال الليبي، تمتد إلى الجوانب الثقافية والاجتماعية، فاللهجة الغدامسية تمتد بجذورها إلى اللغة الليبية القديمة[48]، حيث يعكف بشير يوشع على تصحيح ما ورد على لسان الرحالة الحشائشي التونسي، في مواضع عدة، منها رده في إحدى المواضع بقوله: « الغدامسي لا يختلف في ملبسه عن لباس بقية الليبيين في شيء»[49]، إلى جانب الحرص الشديد على الدفع بالبعد الوطني الليبي لأعلام الغدامسية الذين يترجم لهم، وهذا ما نلمسه في ترجمته للعالم المهاجر (أبو جابر الغدامسي) حيث يورد في سياق الحديث عن خلفيات هجرته قوله :» كثير هم الليبيون الذين هاجروا من أرض الوطن تحت ظروف قاسية أخرى أشد وأنكى»[50]، وقد كانت رحلة الرحالة التونسي محمد بن عثمان الحشائشي سنة 1896م، في حقيقتها مشروعا استعماري فرنسي لجمع المعلومات عن ليبيا[51]. ولا يسعن الاستمرار في رصد إحالات وإشارات بشير يوشع التي تشير إلى أن هناك دوافع وتحديات خفية تتعلق بأطماع أو مطالب في المجال الغدامسي، كان بعضهم يحاول استثمارها في مراحل محددة،

أو عـلى الأقـل محاولـة توثيقهـا كحالـة تاريخيـة، في صياغـة الحـدث التاريخـي صياغـة تتناغـم وتجـاري متطلبـات الدولـة الوطنيـة ولـو عـلى حسـاب الحقيقـة التاريخيـة[52]، مـا يحفـز الهمـم الوطنيـة في الـرد عـلى تلـك الادعـاءات، وفي هـذا السـياق لا يمكننـا أن نتجاهـل محاولـة التأسـيس عـلى حملـة رمضـان بـاي تونـس عـلى غدامـس لامتـداد سـلطة تونـس عـلى هـذا المجـال، وكثـير مـا فنـد الباحثـون النتائـج التـي تمخـض عنهـا رفـض الغدامسـية ومقاومتهـم لهـذه الحملـة[53].

ملامح منهجية في مؤرخات وتحقيقات بشير يوشع:

كانـت نقطـة الانطـلاق والوصـول للمـؤرخ بشـير قاسـم يوشـع واضحـة المعـالم وهـي «حفـظ التاريـخ للأجيـال القادمـة والوطـن»[54]، وهـذا التاريـخ الـذي اختارلـه يوشـع المسـاهمة في تاريـخ الجـزء للوصـول إلى الـكل، غدامـس « الرقعـة المباركـة مـن أرضنـا الحبيبـة، التـي تعاقبـت عليهـا الحضـارات عـلى اختـلاف أنواعهـا، وتكالبـت عليهـا الـدول الاسـتعمارية القديمـة والحديثـة»[55]، حيـث يتسـع مفهـوم التاريـخ لديـه ليشـمل : سرد الحـدث التاريخـي، وتوثيـق الروايـات الشـفهية وتوظيفهـا في مدوناتـه، وتوثيـق الأسـاطير والروايـات الشـعبية الخياليـة، ولا يهمـل مشروعـه البحثيمظاهـر المـوروث الاجتماعـي الغدامـسي، والعـادات والتقاليـد، و(الأنثروبولوجيـا التاريخيـة) المعنيـة بفحص وتوثيـق الحياة اليوميةلأهـالي الواحـة، وعمارتهـم المدنيـة والدينيـة، وعلاقاتهـم مـع محيـط هـذه الواحـة كتعبـير عـن حالـة ثقافيـة لمجتمـع الواحـات الحضريـة الليبيـة ويدعـم كل هـذه الاهتمامـات بالبحـث والتحقيـق والتحقـق مـن الوثائـق[56]. وتأسيسـاً عـلى مجمـل مشروعـه البحثـي جـاز لنـا وسـمه بالمشروعالموسـوعي بـكل المعايـير ،حيـث تطـرق بمنهجيـة واضحـة لموضوعـات وقضايـا كانـت لحظـة إنجازهـا لا تـزال تقـع في دائـرة التهميـش البحثـي، وتقـترب موضوعاتـه ومعالجاتـه التأريخيـة مـن الخـط العـام للتاريـخ الجديـد الـذي تنـادي بـه المـدارس الحديثـة في كتابـة التاريـخ، عـلى الرغـم مـن تكويـن بشـير يوشـع العصامـي الـذاتي، ولكـن ذلـك لم يمنعـه مـن مجـاراة المؤرخـين الأكاديميـين مـن حيـث المنهجيـة، وطـرح الموضوعـات والقضايـا الذكية،والاهتـمام بموضوعـات ذات خصوصيـة في الحيـاة الغدامسـية، تعتنـي أساسـا بتجـارب النـاس وحياتهـم وآلامهـم وتصرفاتهـم وأفكارهـم، والتـي توضـح بجـلاء سـيطرة المـؤرخ عـلى مصـادره الأساسـية، ولـذى فـإن الحديـث عـن الملامـح المنهجيـة في أعـمال يوشـع أمـر مـشروع.

في اعتقادنا أن احترافية بشير يوشع في معرفة أمكنة الوثائق الأهلية والمخطوطات التي تزخر بها بيوت غدامس وكما يذكر يوشع :» قلما أن تجد منزلا بغدامس خاليا من مكتبة مخطوطة، حتى لو كان حاضر أهله لا ينسب للعلم، لأن المخطوط يعتبرلديهم تراثا يتوارثه الابن عن الأب»[57]، وقدارته في تفكيك طلاسم ورموز هذه الوثائق المحلية هي مصدر قوة وتفرد وتميز مشروعه البحثي نظرا لما تمثله الوثيقة التاريخية في مستواها المحلي من حامل للذاكرة الحية لأهالي الواحة، ولها أهمية فريدة في الكشف عن حقيقة الماضي، حيث عمل يوشع بكفاءة واضحة على مستويات مختلفة في التعامل مع الوثائق، فكان أولها البحث عن أمكنة وجودها، وقد ساعدته حالة الوعي التوثيق لأهالي غدامس التي جعلتهم بالفطرة وبروح التاجر الذي يوثق أعماله حتى لا تضيع حقوقه وحقوق ورثته، فعرف الغدامسية وبيوتهم التجارية بوفرة في الوثائق الأهلية والمخطوطات.

لعل البعد الشخصي لعائلة يوشع كان دعما لهذه المعرفة العميقة بالمخطوط والوثيقة الغدامسية، حيث يذكر بشير يوشع في هذا المقام :» نشأت مولعاً بقراءة الأوراق القديمة والمحافظة عليها في صندوقنا الأثريالمتلئ أوراقاً مختلفة الأنواع»[58]، وهذه النشأة تحولت إلى شغف بحثيّ فهرسة وتحقيقاً ونشراًللوثائق والمخطوطات الغدامسية في سياق مشروعه البحثي لمدينته العتيقة التي اجتهد على وضعها في مصاف مدن وعواصم الحضارة والثقافة العربية الإسلامية، حيث توفرت لديه أهم صفات المفهرس والمحقق، انطلاقا من إحساسه بقيمة التراث العلمي والفكري والوثائقي الغدامسي، وحب هذا التراث وتعلقه به ومعيشته، وتوثيق الصلة به على نطاق واسع قراءة ودراسة ودراية بأسراره ودقائقه وخصائصه وأساليب تدوينه وأنواع خطوطه[59]، فكانت الوثيقة الأهلية أو المحلية أحدى أهم معالم مشروعه البحثي وتراثه المتميز.

فالوثيقة هي كل ما يعتمد عليه ويرجع إليه لإحكام أمر ما، وتثبيته وإعطائه صفة التحقق والتأكيد من جهة، أو ما يؤتمن على وديعة فكرية أو تاريخية تساعد في البحث العلمي، او تكشف عن جوهر واقع ما، أو تصف عقار اً أو توكد على مبلغ او عقد بين اثنين[60].

التوثيق اصطلاحا في المفهوم الحديث هو جمع الوثائق والمستندات ونقدها وتمحيصها وتقديمها للناس في صورة أقرب ما تكون إلى الأصل الذي صدر عن صاحبها

الأول، ودراسة المادة التي كتبت عليها ودراسة علامات الإثبات والأختام، ودراسة الخط لمعرفة التاريخ الذي كتبت فيه الوثيقة ثم دراسة لغة الوثيقة وفحواها كالصياغة والعبارات()، ولم تخرج جهود بشير يوشع الوثائقية عن الإطار العام الذي عمل فيه محققو وناشرو الوثائق، وتكمن خصوصيته في عمله على الوثائق المحلية، أو الأهلية الغدامسية، وكانت له الريادة في الاشتغال على هذا النوع من الوثائق التي لها خصوصيتها التكوينية، وأمكنة حفظها، وما يحيطهامالكوها من سرية ونوع من القداسة التي تحرم إتاحتها وتداولها بعدّها من الإرث الاجتماعي الخاص، حتى ان هذا النوع من التراث الوثائق الوطني لم يدرج ضمن الوثائق التاريخية الليبية[61]، قبل ان يباشر بشير قاسم يوشع في التعامل معها. ويمكننا تعريف الوثيقة المحلية أو الأهلية الغدامسية الخاصة بأنها: ذلك الكم من المدونات والأوراق الأهلية الخاصة والتي توثق للحياة اليومية بين أهالي الواحة في عمليات البيع وشراء العقارات وعقد الزواج وتوزيع الإرث، وتقسيم الموارد الحياتية في غدامس، بالإضافة إلى الرسائل الشخصية الخاصة التي يتبادلها الغدامسية مع ذويهم ووكلائهم التجاريين في المناطق الساحلية ومدن وسط القارة الإفريقية [62]. ويتسم الرصيد الوثائقي الأهلي الغدامسي في طبيعته التكوينية والإنشائية بنمط محلي خاص، من حيث مفرداته وألفاظه ورموز طلاسمهالمحلية، تجعل من محاولة دراستها أو تحقيقهاونشرها مغامرة غير محمودة النتائج للباحثين[63]، نظرا لحاجة هذا العمل إلى رصيد وافر من الإحاطة بالثقافة الغدامسية في أدق تفاصيلها، إلى جانب القدرة على التعامل مع اللغة البدائية التي دونت بها تلك الأوراق والتي تجمع بين العربية واللهجة المحلية، وموازين ومقادير وآليات التبادر التجاري الغدامسي، وتأثيرات مجالاته الإفريقية الوثيقة الصلة بغدامس[64]، الأمر الذي ضمن لبشير يوشع التفرد في موضوع التعاطي بحرفية مع الرصيد الوثائقي المحلي الغدامسي، ويرجع إليه الفضل أيضا في إقناع الغدامسية بتزويده برصيد تلك المؤسسات المحلية والأسر من الوثائق والأوراق الخاصة ذات الصبغة التاريخية، والذين «تكرموا مشكورين بإحضارها وأذنوا بنشرها»[65]. وتعد مسألة «تحقيق الوثيقة التاريخية»، من أكثر المسائل المنهجية تعقيداً وغموضا لدى أغلب الباحثين العرب، سواء مع الوثيقة الرسمية أو المحلية المفردة، واعتنت الكتابات التنظيرية بتحقيق المخطوطات، على الصورة التي أرادها لها مؤلفها بعد التثبت من النص وإخراجه على وجهه الصحيح

وهـي المهمـة الأولى للمحقـق [66]، ولكـن يوشـع في أحـدى الوثائـق التـي أخضعهـا للتحقيـق والدراسـة قـدم أنموذجـا متميـزا لتحقيـق الوثيقـة التاريخيـة المفـردة وتفكيكهـا، وشرح محتواهـا، بحيـث تصبـح الوثيقـة موضـوع بحـث ودراسـة في حـد ذاتها()،إضافـة إلى جهـوده في فهرسـة المخطوطـات الغدامسـية[67]، والتـي التـزم مـن خلالهـا بأغلـب قواعـد الفهرسـة والتحقيـق المتعـارف عليـه علميـاً(). وعـلى الجانـب الآخـر فـإن المصـدر الآخـر لقـوة وتميـز مـشروع يوشـع الغدامـس تعاملـه بوعـي وفاعليـة مـع الروايـة الشـفوية الغدامسـية جمعـا وتوظيفـا في كتاباتـه وتحقيقاتـه، عـلى الرغـم مـن عصاميـة تكوينـه العلمـي، والصعوبـات التـي تكتنـف التعامـل مـع الروايـة الشـفوية، ولكـن شـغف يوشـع بالتاريـخ واهتماماتـه المتصاعـدة جعلتـه يتعمـق ويطـور مـن أدواتـه المنهجيـة التـي يوظفهـا في تحبـير مؤرخاتـه وتحقيقاتـه، وهـذا غـير خافٍفملامـح هـذا التطـور التصاعـدي والاحترافيـة البحثيـة العاليـة والمتقنـة التـي نلمسـها عنـد مقارنـة نتاجـه التاريخـي، لا سـيما مقالاتـه التـي ازدانـت بهـا (مجلـة البحـوث التاريخيـة) بطرابلـس في عقـدي الثمنينـات والتسـعينيات مـن القـرن الماضي والتـي تنـم عـلى تمكـن الباحـث مـن أدواتـه المنهجيـة.

فالروايـة الشـفوية لـدى يوشـع مـن أهـم الأدوات البحثيةالتـي اعتمـد عليهـا كثـيرا في إنجـاز مشروعـه الغدامـسي، حيـث يُعـد الروايـة الشـفوية مـن اهـم مصـادر دراسـة التاريـخ، عـلى الرغـم مـما يتطلبـه هـذا المصـدر مـن جانـب كبـير ووافٍ مـن الدقـة والتحـري، وضرورة اسـناد تلـك الروايـات لرواتهـا الذيـن أفـادوا بالمعلومـات « وبالعنعنـة التـي تقيـد بهـا علـماء علـم الحديـث وغيرهـا مـن الضوابـط التـي وضعوهـا إلا دليـل عـلى خطـورة نقـل الخـبر الـذي يجـب أن يوثـق توثيقـا كامـلاً»()، حيـث مـزج في مباحثـه وتحقيقاتـه بـين الروايـة الشـفوية والوثيقـة التاريخيـة، ومعارفـه الشـخصية لاسـتكمال أي نواقـص او ثغـرات معرفيـة()، فكانـت الروايـة الشـفوية لديـه مصدراًوشـاهداًعن الأحـداث القريبـة العهد،ومفـسرة لمحتـوى الوثيقـة التاريخيـة، وراويـة وحافظـة للذاكـرة الجماعيـة لواحـة غدامـس التاريخيـة.

الهوامش:

(1) أفراح محمد مشع الثبيتي، مناهج مؤرخي العراق في كتب التاريخ العام والتاريخ المحلي في العصر السلجوقي 447 – 590 هـ مجلة البحث العلمي في الآداب، كلية الآدب للبنات والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، القاهرة، العدد التاسع عشر، 2018، الجزء الأول، ص 9.

(2) فاطمة حباش، إسهامات مولاي بلحميسي في كتابة التاريخ المحلي من خلال قراءة كتابه تاريخ مازونة، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران1 احمد بن بلة، الجزائر، المجلد 9، العدد 3، نوفمبر 2019م، ص 332.

(3) رجائي ريان، مدخل لدراسة التاريخ، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، عمان، 1986م، ص71.

(4) فهد بن عبد العزيز الدامغ، التاريخ المحلي في الحجاز، نشأته وتطوره حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مجلة فكر وإبداع، رابطة الأدب الحديث، القاهرة، الجزء الخامس والثلاثون، يونيو 2006م، ص 266.

(5) محمد ميسر محمد بهاء الدين، التاريخ المحلي وكتابة تاريخ واسط لابن بحشل أنموذجا، مجلة التربية والعلم، كلية التربية، جامعة الموصل، الموصل، المجلد (13)، العدد(3)، 2006م، ص114.

(6) محمد فتحي عثمان، المدخل للتاريخ الإسلامي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1992م، 131.

(7) الهادي التيمومي، مفهوم التاريخ وتاريخ المفهوم، دار محمد علي للنشر، صفاقس، 2003م، ص 139.

(8) عبد العليم عبد الرحمن خضر، المسلمون وكتابة التاريخ، دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فيرجينيا، 1993م، ص 162.

(9) فرنان بروديل، عن التاريخ الجديد، ترجمة: مصطفى المسناوي، مجلة بيت الحكمة للترجمة في العلوم الإنسانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، العدد الخامس، أبريل 1987م، ص 6.

(10) نور الدين مصطفى الثني (محرراً)، أعمال الندوة العلمية التاريخية حول تاريخ غدامس من خلال كتابات الرحالة والمؤرخين، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2003م، ص 5.

(11) نقلا عن : قسطنطين زريق، نحن والتاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، 1985م، ص 17.

(12) بشير قاسم يوشع، دور الثقافة والتعليم في تحقيق التقارب بين شعوب إفريقيا، لمحات عن العلاقات الثقافية والاجتماعية والعرقية بين غدامس وغرب إفريقيا، ضمن أعمال مؤتمر التعليم من أجل التحرر في إفريقيا، منشورات مركز البحوث والدراسات الإفريقية، سبها، 1988م، ج3، ص 99.

(13) علي الفقيه حسن، النهضة العلمية والأدبية في ليبيا، البحوث والمحاضرات للمجمع العلمي العراقي، مطبوعات المجمع العلمي العربي، بغداد، 1966م، ص 279.

(14) أحمد مختار عمر، النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر التركي، منشورات الجامعة الليبية، كلية التربية، طرابلس 1971م، ص7.

(15) بشير قاسم يوشع، غدامس من البيئات العلمية الثقافية في ليبيا، ضمن أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا، واقعها وأفاق العمل حولها، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1992م، ج 1، ص 465.

(16) فاتح رجب قدارة، أبولقمة، هاجس التاريخ والوطنية الليبية ، المجلة الجامعة، مركز البحوث والاستشارات العلمية، جامعة الزاوية، العدد التاسع عشر، المجلد الثالث، يوليو 2017م، ص3-4.

(17) عبد الله القويري، معنى الكيان، محاولة نظرية لفهم الواقع الليبي، مطابع دار لبنان، بيروت، د.ت، ص 2-7.

(18) عمر محمد التومي الشيباني، تاريخ الثقافة والتعليم في ليبيا، إدارة المطبوعات والنشر، جامعة طرابلس (الفاتح) سابقا، طرابلس، 2001م، ص352.

(19) خليفة محمد التليسي، رحلة عبر الكلمات، وزارة الإعلام والثقافة ، طرابلس، 1973م، ص62.

(20) ينظر: مصطفى إمحمد الشعباني، فاضل الأمين محمد فكيني، المنهج النقدي في التاريخ، الثابت والمتغير في المواقف والكتابات، دار الكلمة للطباعة والنشر، طرابلس، 2008م.

(21) المولدي الأحمر، المؤرخ والحقيقة التاريخية والاستخدامات الاجتماعية للتأريخ في كتابتان محليتان لتاريخ مقاومة الاحتلال الايطالي في ليبيا بين سنتي 1922-1925م، ضمن كتاب الكتابات التاريخية في المغارب الهوية، والذاكرة والاسطوغرافيا، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2007م، ص 35.

(22) الطيب علي الشريف، محمد مولود خماج، الزاوية ملامح ثقافية واجتماعية، د. ن، 2005م.

(23) محمد مصطفى بازامة، مدينة بنغازي عبر التاريخ، الجزء الأول : منذ نشأتها حتى الغزو الايطالي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1968م، ص 9-10.

(24) أحمد الدردير الحضيري، المسك والريحان فيما احتواه عن بعض أعلام فزان خلال الفترة ما بين القرن9-13 الهجري، تحقيق: أبو بكر عثمان الحضيري، الشركة العامة للورق والطباعة، مطابع عصر الجماهير، الخمس،1990م،ص 53

(25) عبد الله موسى الفقهي، أولاد صولبا، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، 2007م.

(26) محمد العالم الرجحي، محلة الظهرة، ملتقى الخصوصية والعمومية 1939-1969م، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2004م، ص 16وما بعدها.

(27) سعد خليفة المقرم، قبائل الصيعان نسبهم وجهادهم، الشركة العالمية الأولى للطباعة والورق، طرابلس،2021م.

(28) لجنة من الباحثين في التاريخ بالزنتان، كتاب السير والرد على التزوير، منشورات شركة توليبكو للطباعة والنشر، ليماسول، و الدار الأطلسية، تونس، 2006م.

(29) نور الدين مصطفى الثني، أعمال الندوة العلمية التاريخية حول تاريخ غدامس، مرجع سابق، ص 5.

(30) بشير قاسم يوشع، غدامس من البيئات العلمية الثقافية في ليبيا، مرجع سابق، ج 1، ص 468.

(31) بشير قاسم يوشع، غدامس ملامح وصور، مطابع الفاتح، مصراتة، ط2، د.ت، ص2. من تقديم الدكتور الصغير عبد القادر باحمي للطبعة الثانية من كتب يوشع الذي كان قد صدر في طبعته الأولى سنة 1972م.

(32) ينظر: محمد مصطفى بازامة، تاريخ ليبيا في عصور ما قبل التاريخ، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1973م.

(33) مصطفى محمد جحيدر، خليفة محمد التليسي ناقداً وأديباً، الدار الجماهيرية ، مصراتة، 1986م، ص 13-16.

(34) عبدالله العروي، مفهوم التاريخ، الالفاظ والمذاهب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1992م، ج1، ص42.

(35) عبدالمنعم إبراهيم الجميعي، المؤرخون الهواة ودورهم في كتابة تاريخ مصر الحديث والمعاصر، ضمن كتاب المدرسة التاريخية المصرية 1970-1995م، دار الشروق، القاهرة، 1997م، ص28 وما بعدها.

(36) بشير قاسم يوشع، غدامس ملامح وصور، مرجع سابق، ص 2.

(37) بشير قاسم يوشع، المرجع نفسه، ص 7.

(38) بشير قاسم يوشع، دور الثقافة والتعليم في تحقيق التقارب بين شعوب إفريقيا، مرجع سابق، ص

(39) بشير قاسم يوشع، أبو جابر عبد الله بن أحمد إبراهيم الغدامسي العالم المهاجر: جوانب من حياته وبعض نشاطاته الفكرية، مجلة البحوث التاريخية،مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، السنة السادسة، العدد الثاني، يوليو 1984م، ص 429.

(40) بشير قاسم يوشع، غدامس ملامح وصور، مرجع سابق، ص 7.

(41) عبدالكريم غلاب، كتابة التاريخ الوطني،مجلة الأكاديمية، الرباط، العدد الثالث، نونبر 1986م، ص285.

(42) عبد الله حسن محمد، وقفات مهمة في التاريخ الإفريقي، دار الرفاعي للنشر والطباعة، الرياض، 1982م، ص 118.

(43) محمد شريف جاكو، العلاقات السياسية بين تشاد وليبيا، قضية أوزو من 1960 حتى 1990م،مكتبة مدبولي، القاهرة،1998م، ص36-38.

(44) برابح محمد الشيخ، التطور التاريخي للحدود الجزائرية، المغرب الأقصى وتونس أنموذجا، مجلة دراسات وأبحاث، مركز ابن خلدون، عمان، وجامعة زيان عاشور بالجلفة، السنة التاسعة، العدد(27)، جوان 2017م، ص 27.

(60) بشير قاسم يوشع، فهرس مخطوطات غدامس، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس ،ط2، 2011م،ص7.

(61) بشير قاسم يوشع، غدامس وثائق تجارية تاريخية اجتماعية 1228-1310 هجري، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1982م، (ج 1) ص 19.

(62) عبد الله بن عبد الرحيم عسلان، تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 1994م، ص 41.

(63) عبد الله أنيس الصباغ، علم الأعلام، الوثائق والمحفوظات، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1986م، ص 51.

(64) علي زوين، علم الوثائق والتوثيق في تراثنا الإسلامي، مع تحقيق رسالة التنبيه الفائق على خلل الوثائق للحمزاوي، مجلة آفاق الثقافة والتراث ص 147

(65) عبد الله الشريف، محمد الطوير، تاريخ المكتبات والوثائق والمخطوطات الليبية، دار الملتقى، بيروت، ط2، 1998م.

(66) بشير قاسم يوشع، غدامس وثائق تجارية تاريخية اجتماعية 1228-1310 هجري، مصدر سابق، (ج 1).

(67) فاتح رجب قدارة، انهيار تجارة القوافل الصحراوية عبر الأراضي الليبيةمن خلال وثيقة غدامسية، مجلة كلية الآداب، بالزاوية، جامعة الزاوية، 2014م،العدد (18).

(68) بشير قاسم يوشع، وثائق غدامس، وثائق تجارية تاريخية اجتماعية، مصدر سابق، الجزء الثاني.

(69) بشير قاسم يوشع، المصدر السابق، ج 2، ص 7.

(70) عبد الستار الحلوجي، المخطوط العربي، مكتبة مصباح، جدة، ط2، 1989م، ص 273.

(71) ينظر: بشير قاسم يوشع، تقسيم تركة أحد مواطني غدامس في أواخر القرن التاسع عشر كما جاء في إحدى الوثائق، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، السنة السادسة، العدد الاول، يناير 1984م، ص181- 219.

(72) بشير قاسم يوشع، فهرس مخطوطات غدامس، مرجع سابق.

(73) عبد الستار الحلوجي، نحو علم مخطوطات عربي، دار القاهرة، القاهرة، 2004م، ص 173-181.

(74) بشير قاسم يوشع، الغدامسيون في رحلة الحشائشي، مرجع سابق، ص 240.

(75) المرجع نفسه، ص 245.

(76) بشير قاسم يوشع، مدينة غدامس عبر العصور، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2011م،ص12.

الفصل الرابع

قراءة في كتاب: غدامس عبر العصور، بشير قاسم يوشع غدامس: مدينة الحضارة والتجارة والثقافة

قراءة في كتاب: غدامس عبر العصور، بشير قاسم يوشع: غدامس مدينة الحضارة والتجارة والثقافة

د. رضوان ضاوي

هذا الكتاب:

صدر كتاب «غدامس عبر العصور» للباحث الليبي بشير قاسم يوشع عن المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية ضمن سلسلة الدراسات التاريخية (120) بطرابلس/ ليبيا عام 2011، وعدد صفحاته 112، وتوزعت عدد صفحاته البالغة 112 صفحة على مقدمة وثلاثة فصول وهي: لمحة سريعة عن مدينة غدامس، وغدامس دويلة مستقلة حتى العهد العثماني الثاني، والمعالم الأثرية.

في الفصل الأول بعنوان «لمحة سريعة عن مدينة غدامس» يعرفنا المؤلف بمدينة غدامس التي تقع في جنوب غرب ليبيا، وتبعد عن طرابلس بحوالي ستمئة وعشرين كلومتر. ويعتقد ابن خلدون، اعتماداً على بعض الآثار القديمة، أن المدينة تأسست قديماً، أما المؤرخ الشيخ طاهر أحمد الزاوي فقد أطلق عليها في معجم البلدان الليبية أسماء رادامس ومدينة الجلود وسيداموس ووصفها بأنها من أقدم وأعرق الحضارات في المنطقة التي تشكل باب الصحراء الكبرى.ومن المؤرخين الأجانب الذين ذكروا المدينة المؤرخ اللاتيني بليني الأكبر المتوفى عام 79 ميلادية، فهو يذكر أن كيداموس هي ضمن المدن التي احتلها بجيشه في إفريقيا، بينما ذكر بطلميوس أن اسمها كوداموس ووصفها أنها مركز تجاري مهم. بينما يسمي المؤرخ بروكوبيوس القيصري غدامس كيدامي ويذكر أنه يعيش فيها شعب المور. وقد ورد وصف غدامس عند محمد بن عبد المنعم الحميري في كتابه «الروض المعطار في أخبار الأقطار» بأنها مدينة قديمة في الإسلام، ومعروفة بالجلد الغدامسي، وبوجود الكهوف، وكانت سجناً للكاهنة الإفريقية. أما في معجم البلدان للحموي فقد ورد أن المدينة عجمية بربرية تدبغ فيها الجلود الغدامسية الأجود، ومعروفة بعين الماء ذات بناء عجيب يخرج منه الماء.أما ابن بطوطة

فقد ذكر غدامس حين أشار إلى أنه سافر ضمن قافلة كبيرة للغدامسيين ودليلهم. ثم ليون الإفريقي الذي ذكرها باسم كوداموس، ووصفها بأنها منطقة مأهولة، وسكانها تجار متعلمون ومحترفون ولدهم بساتين جميلة [18].

نسجل بداية أن كلمة المور أطلقها الأوروبيون على المناطق الموجودة بين الساحل الإفريقي الشمالي والصحراء الشاملة للمغرب الأدنى والأوسط والأقصى. وأن المدينة عرفت أولا بخمسة أسماء وهي: رادامس، وسيداموس، وكوداموس، وكيدامي، ويضاف إليها الاسم المحلي وهو عديمس، والاسم العربي غدامس. وفي هذا الإطار نشير إلى أن المؤلف لم يكتفي بعملية نقل المعلومات عن المدينة، ولكنه يصحّح ويدقق في معلومات المؤرخين، ويفحصها بعين الشك العلمي، فهو يصف المعلومات التي قدمها بطليموس بأنها سطحية ولا قيمة علمية لها، وأنه ذكر تومبوكتو وعلاقتها بغدامس، رغم أن تومبوكتو لم تؤسس إلا في عام 1100 ميلادية (ص.16).

بعض الأساطير من غدامس:

توجد الكثير من الأساطير حول اسم غدامس، ولكن المؤلف رأى أنه لا فائدة من ذكرها جميعا، واكتفى بنقل الأسطورة الأكثر شهرة عنها (ص.18). وارتبط اسم غدامس بأسطورة وردت في مخطوط زمام غدامس من ناقله مصطفى خوجة الطرابلسي، ومفادها أن قوم النمرود هم من أخرج ماء عينها، ثم أن قافلة بن كنعان بن سام بن نوح تناولوا غذاءهم هناك ثم افتقدوا بعض آلاتهم فقال أحدهم: نسيناها في غدانا أمس. ثم رجع فارس إلى الموضوع الأول فضربت الفرس برأسها فخرج الماء، فسميت بعين الفرس والبلاد سميت غدامس. وقيل إن هذا الأمر حدث في زمن سيف بن ذي يزن. كما ذكر اسم الملكة مورينا؛ وهو اسم لزعيمة الأمازونات في ليبيا، حيث هذه الأسطورة ما زالت بقاياها في الثقافة الشعبية حية، فما زال نساء غدامس يحيون ليلة مورينا، وهي أحد ليالي العرس (أنظر ص. 210 من كتاب غدامس صور وملامح) حيث تمجد مورينا في أغنية خاصة بها. (ص. 19).

مدينة غدامس القديمة مستقلة:

ظلت غدامس مستقلة إلى أن توالت عليها غزوات الحفصيين ثم العثمانيين، حيث كانت المدينة تدفع لهم الضرائب والإتاوات مقابل الصلح. وقد تحولت غزوات الحكام

العثمانيين إلى ابتزاز مالي في أرزاق أهل المدينة، ويقول المؤلف إن هذه المعلومة لم تدرج في كتب المؤرخين، لكنه وجدها في وثائق سيتولى بنفسه نشرها، وقد ظلت المدينة موالية للعهد العثماني الثاني إلى أن احتلها الإيطاليون عام 1913، لكنهم انسحبوا سريعا من المدينة بسبب الثورة في الجنوب الليبي أواخر 1914. (ص.21). ويبقى أن الإيطاليين اكتشفوا أهمية غدامس فأعادوا احتلالها من جديد في فبراير 1915، وبقي الغزو فيها إلى يناير 1943 حيث خرج الغزاة من المدينة، لكن المدينة سقطت من جديد في يد الفرنسيين المحتلين للجزائر وبقوا فيها حتى عام 1956. وبعد 1969 واكبت المدينة التطور الذي عرفته ليبيا في العهد الجديد في كل المجالات كما يؤكد على ذلك المؤلف (ص.22)، ففي هذا العهد اهتمت المدينة بتراثها العريق وتكونت لجنة أصدقاء المدينة التي تعمل على الحفاظ على المدينة. وبخصوص اللهجة الغدامسية، يجمع الباحثون على وجود تشابه كبير بينها وبين لهجة واحة سيوه في مصر، حتى الحكايات الشعبية بغدامس تشير بوضوح إلى هذا التشابه [28]. وقد ألّف ريك بيتس، العالم البريطاني المتخصص في تاريخ الحضارة المصرية، كتابا بعنوان «الليبيون والشرقيون» (1914) بحث فيه في لغة الأمازيغيين ورأى أنهم من سلالة الليبيين القدماء، وانتهى إلى وجود عنصر ليبي في لغة المصريين، فبحكم قرب الموقع غدامس من ملتقى الحضارات: نجد تأثير تلك الحضارات الأجنبية خاصّة المصرية.

ينكر المؤلف على الباحثين الذين يقولون إن الليبيين لم يعرفوا حضارة بناء المدن، ويقول إن هذا الرأي بعيد عن الصواب العلمي، ذلك أن أصحاب هذا الرأي هم أنفسهم من تحدث عن وجود ألواح منحوتة وصور في غدامس توثق لأشكال حضارية محلية: «فإن لم يعثر على مدن ليبية حتى الآن أفلا تكون هذه المدن مطمورة تحت الرمال وقد يعثر عليها يوما»؟ ومن الأدلة التي ساقها المؤلف ليدل على وجود حضارة التشييد والبناء في غدامس وجود مبان لليبيين في العصور القديمة المتأخرة وجود قصر مقدول، وهو برج متوسط الحجم تحيط به بيوت اندثرت، ولكن معالمها ما زالت واضحة وتتوفر على بئر مع وجود أسطوانات ربما تكون قبوراً على بعد مئتي متر من البرج. [30].

تشكل صبراته وطرابلس وليتس ماجنا إقليما واسعا حقق اتساعاًورخاء كونه بوابة الصحراء أفادت منها غدامس وجرما من التجارة، تماما كما استفادت منها المدن الساحلية (32).أما القرطاجيين فقد كانوا موجودين في غدامس رغم أنهم بحريون، إلا

أن أهمية هذه المدينة في تجارة الصحراء جعل القرطاجيين يعتبرون وجودهم في المدينة مصلحة ضرورية؛وكانت غدامس على الدوام مدينة مهمة قبل تأسيس صبراتة ولبدة وأوبا،ثم أصبحت أكثر أهمية بعد تأسيس هذه المدن الثلاثة.لهذا انصرف سكان المدينة إلى أعمال التجارة عبر الصحراء بوصفها أهم مرفق اقتصادي للغدامسيين، مستعملين الخيول،ثم الجمال، وشارك أبناء غدامس بقوة في القوافل التجارية عبر الصحراء في اتجاه غرب إفريقيا وإفريقيا الوسطى وحتى إلى باقي شمال إفريقيا. وكانت غدامس متصالحة مع الرومان بمنطق الإجبار لا بمنطق الاختيار، فقد استولى الرومان على المدن الساحلة واحتكروا التجارة التي هي عصب اقتصاد غدامس.وبخصوص الآثار الرومانية فإنها اليوم لم تعد موجودة، إلا أن الغدامسيين كانوا يستعملون أرقاما في معاملاتهم التجارية شبيهة بالأرقام الرومانية، ويعتقد المؤلف أن هذا هو التأثير الثقافي الوحيد المشترك الذي بقي إلى حد الآن. كذلك فقد وصلت الثقافة الإغريقية إلى غدامس، فقد عثر الرحالة الفرنسي دوفرييه،الذي زار غدامنس عام 1860، على النقش المكتوب باللغة الإغريقية وعليه رسم ضئيل يمثل جواداً من النوع البونيقي.

إنّ ما يميز هذا الكتاب هو أن المؤلف يذكر أن بعض المعلومات الواردة عند الباحثين عن غدامس ما هي إلا آراء وتخمينات لا تغني عن العلم شيئاً، ويتأسف لأن أهل الاختصاص لم يقدموا بحوثاً جدية تحسم مثل هذه القضايا الخلافية مثل نفي اهتمام الليبيين بالمباني وكون الحضارات المتعاقبة في المنطقة ليست حضارات محلية[37].

غدامس حتى العهد العثماني الثاني:

وتأكيدا لأسطورية غدامس التي ينبع صوتها من أعماق التاريخ، وبعد أن كتب المؤلف نبذة عن الثقافة في غدامس ها هو يتحدث عن تاريخ المدينة المعاصر. فالمدينة تتشكل من ثمانية واحات كانت مستقلة عن بعضها البعض، ولكن تربطها علاقات اقتصادية واجتماعية متينة. ويجمع الباحثون على أن سكان غدامس هم من أصل مصري، وأن الآثار الحضارية ترجع في جزء منها إلى الحضارة المصرية القديمة، إلا أن المؤلف يرجح أن أهل غدامس هم من فزارة.

يبدو من مرجعيات المؤلف إذن، أنه يستقي معلوماته عن غدامس من الحكايات الشعبية والأساطير باعتبارها نصوصاً أنثربولوجية تحمل ملامح ثقافية وحضارية خاصّة بالمدينة. فقد ظلت غدامس مستقلة على أن فرض عليها الحفصيون والأتراك الغرم

دون تنصيب حاكم أجنبي عليها من الخارج حتى العهد القرمانلي. وأثناء العهد التركي توافد حكام ترسلهم السلطة المركزية إلى غدامس، ويلاحظ المؤلف أن إرسال الحكام إلى هذه المدينة لم يكن له مبرر أمني أبدا، بل كان الغرض منه هو التسلط الحكومي من أجل جمع الضرائب.

عوامل الاستقرار:

من خلال ما تقدم نرى أن غدامس تحيط بها ظروف طبيعية واستراتيجية صعبة، فهي مدينة معرضة لطمع الطامعين، وهي تعيش في وسط صحراء شاسعة وف مجتمع صحراوي قبلي وبدوي واشتهرت بالغنى والترف وبالقوافل التجارية التي تجوب إفريقيا الغربية والصحراء الواسعة، وهي فوق ذلك قليلة السكان، وتقع وسط منطقة قبلية قليلة الاستقرار، فكيف استطاعت غدامس أن تصمد وهي بهذه المقومات المتناقضة والصعبة؟

يجيب المؤلف عن هذا السؤال من خلال استعراضه لعدة عوامل ساعدت في هذا الاستقرار، ومنها:

أولاً: تعطي المساكن القديمة في غدامس إمكانيات دفاعية مهمة إذا اقتحم العدو المدينة، كما تقدم عدة مزايا طبيعية واجتماعية ودينية، فالمنازل متلاصقة لا يفصل بينها سوى أزقة وشوارع وميادين، وهي جميعها مسقوفة لكنها تتيح الهواء والضوء من خلال فتحات (49-50).

ثانيا: نظم سكان غدامس أنفسهم في اتحادات وتجمعات تسمى الشوارع، وتتوزع على مجالس في إطار مجلس الاتحاد العام، ودورها مناقشة سبل مواجهة الغزو الأجنبي والأزمات التي تعصف بالمدينة.

ثالثاً: يعتبر القاضي الحاكم الفعلي والمباشر للمدينة يساعده في ذلك مفتي يتبع القضاء المذهب المالكي. ويعمل مجلس الاتحاد العام على انتخاب القاضي والمفتي، وفي العهد العثماني تم تعيينهما من خارج المدينة.

رابعاً: يقوم بدور شرطة المدينة شباب المدينة، ويتعاملون بالخصوص مع الأجانب الذين يقومون بأعمال منافية للقانون.

خامسا: نظام التضامن عمل تكافلي ثابت عند أهل غدامس من خلال تقديم الهدايا في مناسبات الولادة الحديثة أو العرس أو شهر رمضان، إضافة إلى التضامن العملي.

سادسا: يسمي المحليون عين الفرس «غسوف»، وقد ذكرها ياقوت الحموي في معجمه، ولها نظام فريد معروفة به، وفي غدامس تنتشر زراعة النخل والأشجار مع تنظيم دقيق لعمليات الحرث والحصاد مع الاستفادة من عين الفرس وباقي العيون المائية على ندرتها.

سابعاً:تعود تجارة غدامس مع وسط وغرب إفريقيا وبقية شمال إفريقيا إلى العهد الإغريقي، لكنها توقفت مع المد الإستعماري الذي حول الطرق التجارية البرية إلى بحرية. وكما تقدم في هذا المقال، فقد ذكر ابن بطوطة أنه رافق قافلة غدامسية عام 1355. كما اشتهرت المدينة بالصناعة الفضة والجلود والفخار والصوف والخزف ومشتقات النخيل.

ثامناً: انطلاقا من مثل شعبي للغدامسيين الذي يقول: «ثلاثة لا يستغنون أبدا: بياع البشر وقطاع الشجر وحراق الحجر»، تجنب التجار الغدامسيون تجارة الرقيق لأسباب دينية واقتصادية، فهي كما يقول المؤلف بضاعة غير مرغوب فها. ولا يغامر المؤلف بإهمال موضوع الرقيق دون أن يدلي فيه برأيه، فيقول إن تقارير الأوروبيين يضخم ويهول تجارة الرقيق عند المسلمين، لكن الرق عند المسلمين كان أرحم بكثير مما كان عند الأوروبيين. ولأن المجتمع الغدامسي كان مترفا بسبب ازدهار التجارة، فانتشرت فيه سلوكات غير صحيحة، لكن المجتمع المحلي واجهها بصرامة.وقوانين غدامس عرفية غير مكتوبة لكنها تمارس وتنتقل من الكبير إلى الصغير، وهي عبارة عن رزمانة من السلوكات الحسنة.

تاسعاً: جل العرافين في غدامس أصلهم من إفريقيا الغربية، وقد عرفت غدامس العرّافين والدجالين وأتباع الطرق الصوفية. كما عرفت غدامس شعبيين يعالجون بالطرق التقليدية الناس، بالكي والأعشاب الطبية. كما مارست النساء مهنة القابلة، وقد شهد لكل هؤلاء بالمهارة والإخلاص في عملهم حتى بعد وجود أطباء رسميين في العهد الفرنسي، وما زال الطب الشعبي مستمرا حتى اليوم.

عاشراً: تعتبر الأساطير مكوناً أساسياً في الثقافة الشعبية لغدامس، وقد قام المؤلف بنشر بعضها في مجلة الفصول الأربعة وفي كتاب «قصص وأساطير وحكايات شعبية « (مخطوط)، وتوجد بالمدينة فرق موسيقية كثيرة بغدامس،وبعض هذه الفرق تمتد جذورها إلى إفريقيا الغربية.وتعرف المدينة مجموعة من الفرق

الصوفية منها القادرية والسلامية والعيساوية والسنوسية والتيجانية، ولكل منها طقوسها وأتباعها. ولغدامس مطبخ محلي، وبها أكثر من 21 نوعا من الخبز، والطبخ المحلي له جذور ممتدة إلى إفريقيا الغربية.

وفي الماضي كان الغدامسيون يولون الذكر الطفل عناية خاصة، وكان التعليم من نصيب الذكور فقط(في الزاوية القرآنية) وقد يبعث به إلى الزيتونة أو الأزهر. أما الألعاب فهي متاحة للذكر والأنثى. وهي متنوعة، ويسمح للبنت الصغيرة اللعب خارج البيت، أما البنت التي وصلت للمرحة الانتقالية بين الطفولة والبلوغ فتلتزم البيت ولها أن تلعب في سطح المنزل. وتعتبر المرأة أول وسيلة إعلامية مضمونة وموثوقة في غدامس، فهي تستطيع الانتقال بين أسطح المدينة بسهولة مستعملة لكل مناسبة أو حادثة أغنية أو صوت محدد وخاص بها: فلحفلة المولود الجديد أغنية وللزواج أغنية وللوفاة أغنية. وتعتبر العائلة وحدة إنتاجية تقوم على شركة عائلية بين الأب والابن في التجارة والزراعة والصناعة. أما المرأة فهي تهتم بأمور البيت. ويهتم المجتمع الغدامسي بالمرأة العجوز، فهي موقرة تبقى في بيت زوجها الميت أو عند ابنها الأكبر.

وقد وثق المؤلف العادات والاجتماعية في كتابه «غدامس ملامح وصور» وكتاب «غدامس وثائق تجارية وتاريخية واجتماعية».

علاقات غدامس مع بعض بلدان إفريقيا:

من خلال هذا الاستعراض الموجز عن النظام الداخلي يتصور المؤلف أن غدامس لم تكن يوماً مدينة مستقلة عن طرابلس أو تونس، حتى لو أنها لم تدفع الضرائب إلا في العهد الحفصي ثم العثماني. وكان الغدامسيون نادرا ما يحملون السلاح ويلجئون إلى الدفاع عن أنفسهم بالقتال، فقد كانوا ميالين للسلام، وبالتالي كانوا يتجنبون الحروب بإبرام معاهدات صلح وسلام مع دفع الإتاوة. وبشكل عام لم ينجح الأعداء في اقتحام المدينة باستثناء الحفصيين. وتوجد في تونس جالية غدامسية مهمةحتى اليوم. ورغم إمكانيات المدينة الكبيرة إلا أنها لم تتطور، ويرجع المؤلف السبب على ان معظم أراضي المدينة غير صالحة للزراعة بسبب قلة الأمطار وندرة العيون المائية.ويقول المؤلف إن الغدامسيين تجنبوا الغزو ونهب قوافلهم بدفعهم للإتاوات للطوارق وحكام إفريقيا الغربية، وعقدهم لاتفاقيات سلام معهم.

ربطت غدامس علاقات كثيرة ومتعددة مع كل المدن التي كانت تتاجر معها

في السودان غرب إفريقيا، وكانت التجارة تمتد عبر طرق المغرب إلى السودان والبحر الأبيض المتوسط عبر طريق طرابلس وغات وتشاد وطريق تافيلالت وعين صالح وتمبكتو. وكانت غدامس مركز استراحة القوافل، إلا أن هذه التجارةعبر الصحراء قد تضررت ثم توقفت نهائيا بسبب الحدود التي وضعها المستعمر الفرنسي بين الدول.

الوضع الثقافي والمخطوطات:

استقينا أفكار هذه الفقرة من كتاب «فهرس مخطوطات غدامس»، لبشير قاسم يوشع، وهو من منشورات مركز دراسة جهاد الليبين ضد الغزو الإيطالي- ليبيا، 1986. ففي مقدمة هذا الكتاب يذكر المؤلف أن غدامس تقع في الجنوب الغربي من الصحراء الليبية الشاسعة. وتتمتع هذه المدينة بإرث حضاري قوامه مساهمتها في الاقتصاد الليبي، وكونها بوابة الصحراء الكبرى ومركزاً تجاريا هاما، ومعبرا للقوافل المارة عبر إفريقيا الغربية والوسطى، ثم مركزا من مراكز نشر الإسلام والعلم في إفريقيا [7].

وواقع الأمر أن للإنتاجات العلمية الخاصة بهذه المدينة ملامح كثيرة نذكر أهمها كما جاءت في مقدمة الكتاب:

- في القرن الثاني للهجرة تتلمذ أحد أبناء المدينة في البصرة وعاد إلى غدامس ليؤسس أول مدرسة علمية.
- من طلبة هذه المدينة نجد الشيخ محمد بن يانس الذي أسس بدوره مدرسة في جبل نفوسة، وبقيت حتى القرن الحادي عشر هجري.
- في القرن الثالث هجري نجد العالم أبو الفضل العباسي بن محمد الصواف، أحد المتعبدين وفقهاء القيروان.
- تكوين عدة مكتبات ومدارس ساهمت في الانبعاث الثقافي في غدامس.
- وجود مجموعة من المخطوطات في البيوت وفي مساجد الجمعة والزوايا القرآنية والصوفية.
- وجود ما لا يقل عن اثني عشر كتابا لتحفيظ القرآن الكريم والمتون وحلقات الدروس بمساجد الجمعة.
- وظيفة مساجد الجمعة لا تقتصر فقط على العبادة، ولكنها تقوم مثلها مثل الجامع العتيق وجامع يونس بدور المدارس المجانية ويكون التدريس في الزوايا والمساجد تطوعية.
- اتاحة الفرصة لمن يريد من الغدامسيين الاستزادة في العلم السفر إلى

الزيتونة أو الأزهر ثم العودة إلى مدينته لينشر فيها العلم.

ورغم اجتماع ثلاثة عوامل هي الجهل والتفريط والتسلط الأجنبي على المخطوطات الغدامسية، مما تسبب في ضياع الكثير منها، إلا أن جهود أبناء المدينة ثم مركز جهاد الليبيين في الحفاظ عليها، ساعد المؤلف على إنجاز هذه البيبليوغرافيا الموثقة التي تضم 406 مخطوط فقط،لإنه لم تتم بعد اجراء مسح شامل وكامل لمخطوطات غدامس، وهو يتوقع وجود أكثر من ألفي مخطوط إذا قامت الجهات المختصة بمسح شامل ودقيق لهذا الكنز العلمي المهم.

المعالم الأثرية:

ركز المؤلف في حديثه عن المعالم الأثرية لمدينة غدامس على المدينة القديمة ووصفها من الداخل، حيث ذكر مميزات البناء العتيق للمدينة وأن هذا النمط من البناء يوفر للمدينة الهواء والضوء من خلال فتحات توجد في سقف البيوت والشوارع، كما يوفر برودة في الصيف ودفئا في الشتاء، لكنه على العموم يمنع عن المباني الضوء ويحبس فيها الرطوبة. وتعتبر منازل غدامس كتلة واحدة متراصة ومتماسكة مما يسهل تحرك المرأة على السطح بحريتها المطلقة (كتاب ملامح وصور ص. 73). ويفسر المؤلف لجوء السكان لهذا النوع من الهندسة المعمارية بأن سكان المدينة صحراويون يعيشون ويعملون في فضاء مفتوح طوال اليوم،ـفيفضلون حين يرجعون إلى بيوتهم الرطوبة والعتمة، لأنهاأخف الأضرار، ولأن حياتهم اليومية يقضونها كلها في أعمال خارجية مثل الزراعة والتجارة، أما النساء فيقضين تجمعاتنم في الفضاءات الواسعة المفتوحة، فلا أقل من أن يكون فضاء مأواهم بيوت مغطاة بالكامل.وفيما يخص المرافق الدينية يعد المؤلف أكثر من سبعة وثلاثين مسجدا وعشرين زاوية قرآنية وطرقية، ويعتبر المسجد الجامع والعتيق وجامع يونس وجامع تندرين وجامع عمران الفقيه وجامع عون الله أهم هذه المساجد. ومن المزارات التي ذكرها المؤلف في المدينة سوق القادوس أو السوق القديم ومحلة وازيت وساقية عين الفرس والمساجد العتيقة، ومقر الحكام الأتراك ومسجدهم، ومقر ثكنتهم التي لم يبق من آثارها سوى القليل، ثم محلة الوليد وما تتوفر عليه من مساجد وأسواق وبوابات عتيقة.

على سبيل الختم:

قـدم لنـا المؤلـف بشـير قاسـم يوشـع مؤلفـات قيمـة عـن مدينـة غدامـس، وهـو بهـذا خـدم تاريـخ المدينـة المحـلي، في ارتباطـه وانفتاحـه عـلى محيطـه، مـما ينفـي عـن مـدن الصحـراء صفـة الانغـلاق. إن نمـوذج غدامـس مثـال عـلى أن المجتمـع الصحـراوي مجتمـع يحتفـظ بتاريخـه المحـلي وثقافتـه المحليـة، لكنـه لا يغلـق بابـه في وجـه الثقافـات العابـرة للحـدود. إنـه مجتمـع واعـي ومثقـف وحضـاري، تـرك لنـا مـن الآثـار والشـواهد مـا يفتـح شـهية الباحثـين والدارسـين للتاريـخ المحـلي والـتراث والثقافـة الشـعبية، مـن أجـل الاشـتغال عـلى مواضيـع علميـة تمـس جوهـر الدراسـات الثقافيـة المقارنـة، ألا وهـو دراسـة الثقافـة الشـعبية بـكل عناصرهـا ومكوناتهـا. ونقـدم هنـا صـورة غـلاف الكتـاب مـع بعـض الصـور لمدينـة غدامـس والتـي وضعهـا بشـير قاسـم يوشـع في كتابـه لتوضيـح جـزء مـن معـالم وتاريـخ المدينـة.

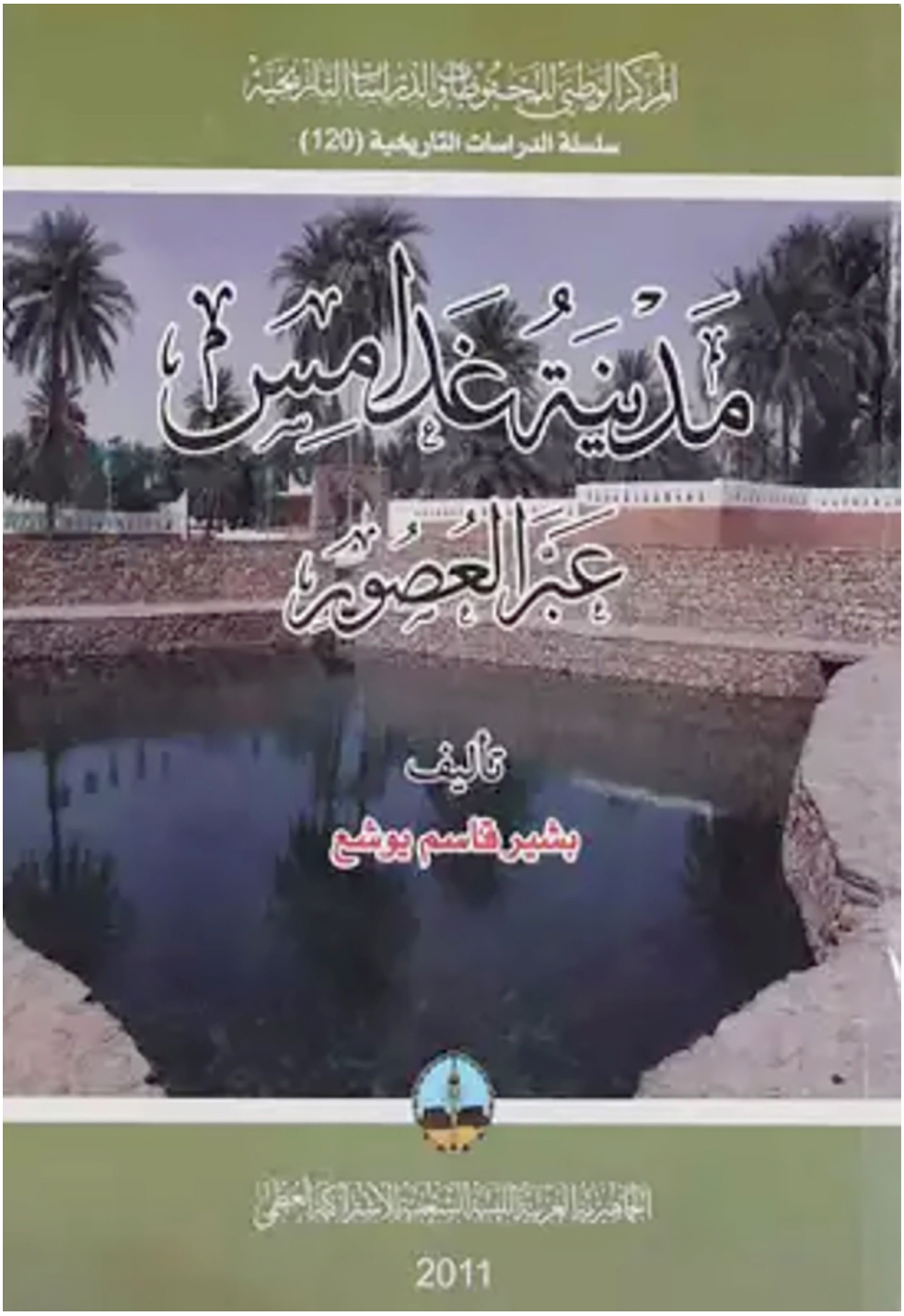
المركز الوطني للمخطوطات والدراسات التاريخية
سلسلة الدراسات التاريخية (120)
مَدِينَةُ غَدَامِسَ
عَبْرَ العُصُورِ
تأليف
بشير قاسم يوشع
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى
2011

أحد أسواق غدامس القديمة المسمى سوق أمزي

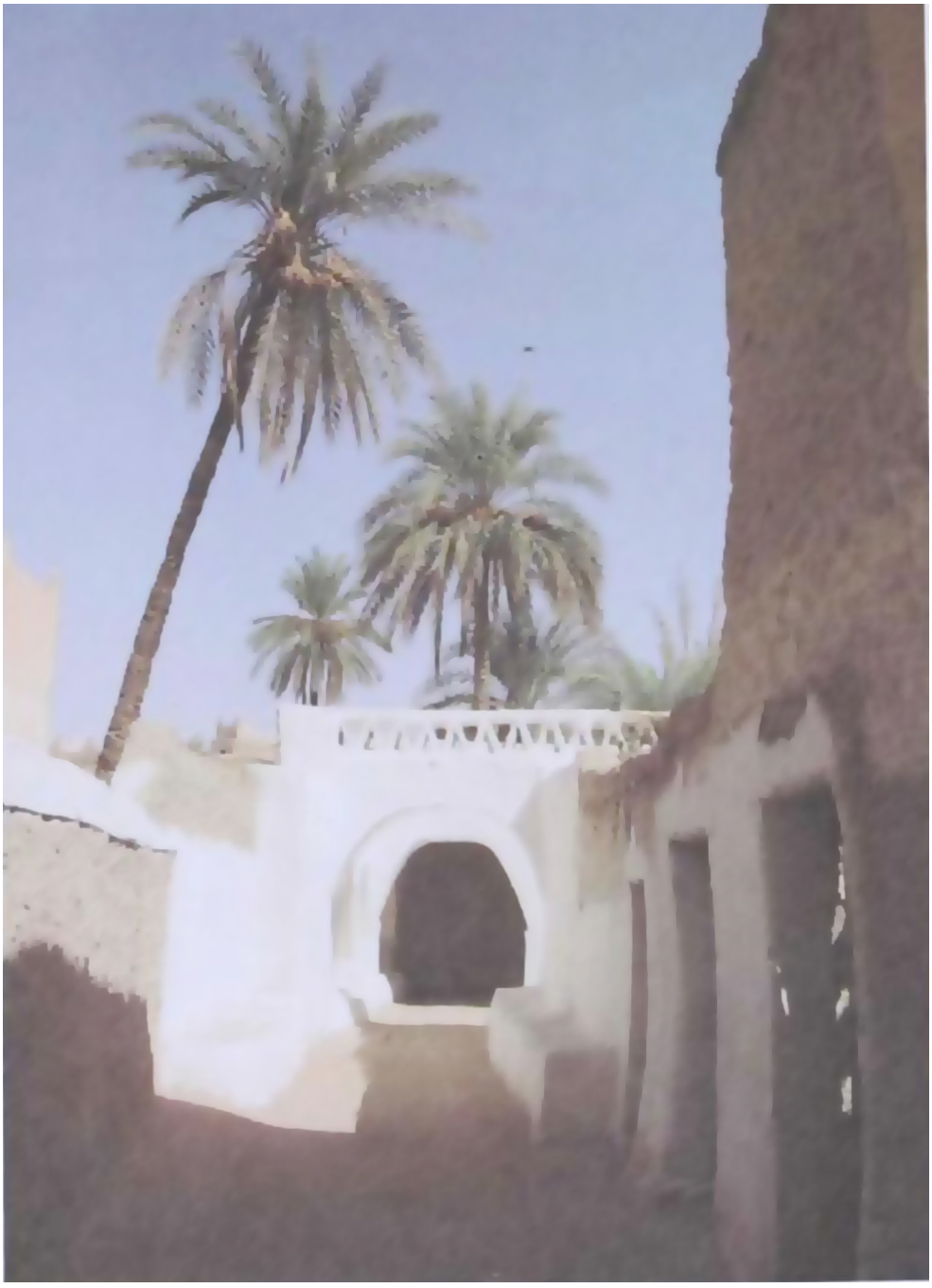

أحد المداخل الداخلية للمدينة القديمة (المسمى انديغليف)

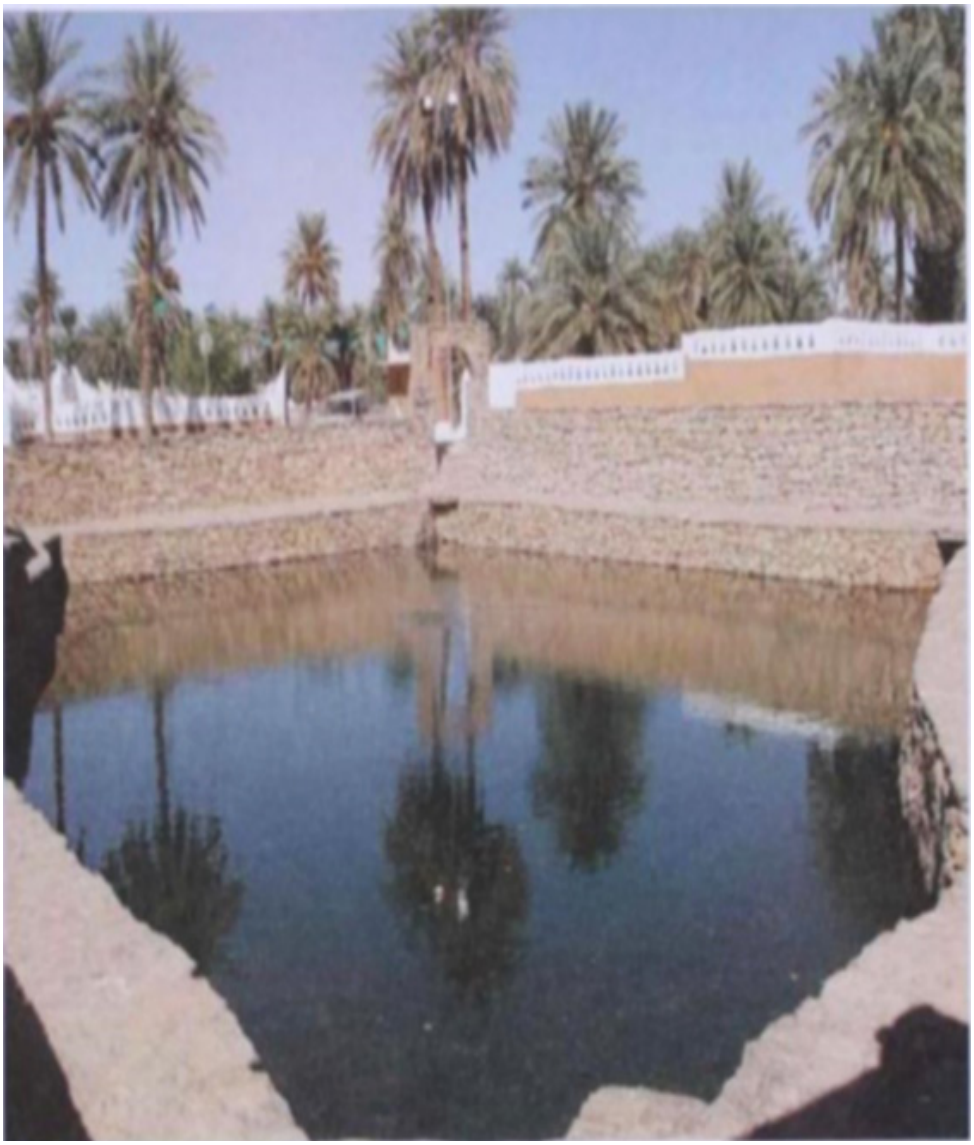

عين الفرس وكانت تروي حوالي ٨٠٪ من المزروعات في مدينة غدامس

أحد المجالس بالمدينة القديمة (المسمى تمقدولت)

الفصل الخامس

The writing's characteristics in Yousha'sGhadames: Features and Pictures and its contribution to the Libyan history

The writing's characteristics in Yousha'sGhadames: Features and Pictures and its contribution to the Libyan history

By Maryem Ahmed Salama

Introduction :

Writing is not an easy option whether it narrates a private experience conditioned by personal terms or an academic topic conditioned by conventional ones. The bulk of the difficulty is incomparable when it comes to writing about a general subject. "The artist ploughs his own furrow; the scholar, even in the privacy of his study, cultivates a common field. He is responsible to others for what he does; he feels the need to explain his purpose, to justify his efforts"()

The writer of the second optionneeds to consider the conditions of writing and its requirements while also considering the evaluation of others who might pose more questions than the writers could answer or suggest more points than they could explore. Those brilliant readers and qualified criticsundoubtedly could intimidate the most conscious writers of their great responsibility towards others.

So, if such a writer fears taking this step (writing in a common field), they will not be blamed. But once again when this step is taken by challengers of men and women who know that writing about a common field must fulfill the terms of academic writing:

Well –organized

Clearly developed

Logically structured
Accurately written
Cohesively produced
and conventionally documented, this gutsy step should be brought into the limelight because it achieves, under difficult circumstances, an aim that the whole community is looking forward to.

This study aims to evaluate the contribution of the early literature of the non- academic writers in feeding the academic writing for history with invaluable sources, taking the book Ghadames: Features and Pictures,[0]as an example of this contribution. The author of this book saw a spot of darkness around an area of which he knew as much as he loved. What should he do? Should he curse the darkness? Feel afraid of his disability and continue waiting for those granted talent and knowledge to fight the darkness? The answer was no. He ignited a torch and forged ahead to explore it because this area is his birthplace, his society, his heritage, and first and foremost his endless love for his country. Love sufficed for him to take this responsible and courageous step which produced this valuable book.Otherwise"the consequence of neglecting the matter of documentation and loss of heritage is that the history of generations or rather centuries of the society's past is lost."[0]

This paper sheds light on the aspects of the author's writing of this book. The light helps to identify the functional value of this writing and consequently its contribution to the field of history and heritage. "Researching the topic of heritage results in an interesting and beneficial project because heritage contributes to our history; moreover, relates to define the character of the society and its role in establishing human civilization."[0]

The argument that this paper raises is based on the idea that Basheer GhasemYousha, the author of the first complete account of

one of the most ancient cities in Libya, Ghadames, is one of a few risk-taking writers whose writing simply and freely achieves a significant referential book fulfilling an urgent demand for the Libyan library. "The author, who undoubtedly made a great effort in compiling the material and organizing its content, has achieved a comprehensive and descriptive study of the ancient city of Ghadames throughout history."()

The paper specifically explores both sides of the text in this book: the form and content through an attentive reading of its language and the different levels of its narration. It suggests that the choice of simplicity and free writing may result in richness of the writer's text, with a wide range of information, oral accounts, personal witnesses, individual memory, popular mythologies and folk legends because there is nothing that may thwart the flow of words when they are written freely.

The Methodology:

The paper applies the formalist method which is an appropriate strategy in providing the researcher with essential techniques in the process of analysis and description of Yousha'swriting. This application is achieved in two ways: one leads to the surface of the language, namely its form and the other leads to the depth of the language, its content.

Moreover, the choice of this method may help to answer the key question of this study which is to analyze to what extent the content of the book outshines the flaws of the form.

TheAuthor:

Every piece of writing is to some extent coloured by the personal history of its writer: his life, education and work. According to biographical critical strategy, it might be true that the more we know about the writer the better we know about his writing. "A

knowledge of an author's life can help readers understand his or her work more fully."()

Basheer GhasemYoushawas born on 24th August 1930 in Ghadames. He studied at the Italian-Arabic primary school in Ghadames. He memorized Koran Kareem in some Koranic Zawyias inside Ghadames's old city. In 1972, he published his first book (Ghadames: Features and Pictures).In addition to this book, he also prepared the following works:

- The Index of Copied Manuscripts of Ghadames, 1st ed, 1986, the Center of the Libyan Jihad for Historical Studies
- Ghadames: Historical, Social Economic Documents, the first part in 1986, the Center of the Libyan Jihad for Historical Studies
- Ghadames: Historical, Social Economic Documents, the second part in 1995, the Center of the Libyan Jihad for Historical Studies

He wrote and published articles and essays in several specialised magazines. In addition to his remarkable activity in writing, he made valuable contributions to various scientific conferences in the years 1980-1990. The author also gave presentations about the city of Ghadames in Ghadames and Tripoli. He died on 22nd October in 1994 in Benghazi"()

Basheer GhasemYoushawas not academic, but "He was an autonomous learner who educated himself until he became a modest, hard-working, risk-taking writer who was willing to accept criticism and advice."()

What is more, he believed that his limited education ought not to be a setback on his way to do his duty toward the heritage of his city, which partially constitutes the history of his country. "There are tiny pieces of writing about Ghadames, but do not do

justice to its historical and cultural position. Waiting for those specialists to take responsibility and do their best, I felt that it was my duty to collect information and accounts about the past and the present of the city."()

He highly appreciated its importance and its need to be deeply explored and well presented in a book for readers and researchers who suffer from a deficiency of such a book. He indeed worried that his skills at writing for history are too limited to enable him to be a historian or a specialised researcher, but his enthusiasm for selecting his beloved city to be the star of a permanent work was bigger than his fears. Therefore, he worked hard to accomplish a hard work in hard times for a wide variety of different readers-researchers, tourists, and other writerswho might now appreciate his work. His work is the fruit of a faithful personal effort, more than ever thanks to this biographical knowledgethat "sometimes biographical information does not change our understanding so much as it enriches our appreciation of a work."()

The Book

The study is based on the second edition of Ghadames: Features and Pictures, published in 2001, after the death of the author, underthe supervision of his sons."We took into our consideration not to make this edition different from the first edition except in the areas where there were notes written by the author himself on the book while he reviewed it before he died."()The first edition was published in 1972.

The content of the book is a portrait or a biography of a city in which a part of its text is built on the author's memoir. "Furthermore, I relied on my knowledge and my methods of investigation, which had a potential impact on achieving this work."()

The Title :

The title of a book can set the style of the author; it can open the first window of communication between the author and his readers, it can make the readers anticipate the content of his book and all that is done by a phrase, if not a single word. Hence, the title is the first message to the eyes of the readers, and it should be selected to be sufficiently expressive especially when the subject belongs to a common field. Yousha considers this simple fact when he decides to add the phrase Features and Pictures (MelamehwaSwaer) to the title of his book, which isGhadames (the name of the city).

"The word(ملامح)Melameh is a plural of (لمحة)Lemha which is derived from the verb لمحLemh or(ألمح)Almeh."[0] The verb in Arabic means to have the first glance of something without much concentration on it.

He, the author of the book, is not an academic historian or a professional writer, so the readers of his book may deduce this limitation of his verbal skill from the title. Then he doesn't postpone giving this piece of information to the moment of writing the introduction of his book, "I am neither a historian nor an excavator but only a collector of news."[0]Initially, he catches the first chance to state that meaning in the title of his book

The Study :

It centers on the written characteristics displayed in Yousha's book Ghadames: Features and Pictures. The study consists of two main parts: the first part gives a close reading to the form and the second part pays considerable attention to the content. The outcome is weighing the contribution of the book to Libyan history.

Part1: Form

Writing is a communicative skill providing a message for an audience. It seems here that the author doesn't pay so much atten-

tion to his audience, which affects the (Form) with fragility and simplicity, as he focuses on the purpose of his book which reflects the immensity and diversity of the (Content). Therefore, his text mimics the impression of a draft, not a final product. The main reason for this primary trait is the sort of writing the author adopts in verbalizing his subject, asit appears like a non-stop writing whose fluency is not impeded with the necessary process of reviewing, revising, and editing. Surprisingly enough, he follows a simple rule, whether or not he consciously knows it "The key to writing fluency is to separate writing from editing."()

Furthermore, the author wrote about the city in which he was born and lived, so he knew it well. This intimate knowledge enables him to write freely. Free writing is traditionally defined as a pre-writing technique in which the writer writes continuously for a specific period of time without worrying about aspect of correct or actually academic language.()

In Yousha's case, free writing is less a stage in the writing process and more of a question of possibility. His education would by no means assist him to distance his language from the effects of writing without revising. These effects can readily be noted in many areas of his text:

-Poor organization of information in structure based on the unity of ideas and the lexical distinction between opinions and facts

-Limited use of academic and objective language

-Limited use of punctuation

-Partially redundant information

Generally speaking, the author's adopted language revealsthree aspects of non-academic writing.

Spoken: The style of writing is conversational. "Now let us go

inside the house…"[0] 'The developing paragraphs mostly start with a connective 'and' in Arabic 'و' as if he speaks not, writes.[0]The use of verbs such as talk, chat, and speak is common aspect, "I am going to talk about…"[0]"I can say that Ghadames …"[0]

Informal:

Thewriting is arbitrarily paragraphed.(Some paragraphs are as long as 11-14 lines, while others next to them are only 2-3 lines. [0]The reader is much addressed with the pronoun you, the passive voice is less used while the author's voice is much used. Cautious language is clearly lost."The spread of Christianity in the Great Sahara was very limited."[0]

Personal: This aspect is the most dominant one, even in the chapters that display the historical periods of Ghadames. The personal aspect is so noticeable in the book that it turns a huge part of Chapter 3 into a modest tourist guidebook.

Structure

The book is divided into 12 chapters not including the introduction and the conclusion, as the following:

Chapter One:

Ghadames

The location

The origin of its people

The archaeologies and the remains

Chapter Two:

The wall of Ghadames

The Gates of the City

Ain el-Fares

The Canals of Ain el-Fares

Chapter Three

Ghadames:

The doctrine of the people
The Streets
The houses
Chapter Four: Ghadames during the Roman period and the Turkish and Pre-Turkish periods
Chapter Five: Ghadames during the Italian period
Chapter Six:Ghadames during the French colonization
ChapterSeven:Ghadamesduring the unreal independence
ChapterEight: The reception of the people of Ghadames to the Revolution of September 1969
ChapterNine: The Social Customs of Ghadames
Chapter Ten: The Municipal Systemand the Clubs in Ghadames
Chapter Eleven: Mosques,Sufi Zawayias and annual habits and the town of Toneen
Chapter Twelve: al-Twarek

The first point to be noted about the division of the book into these chapters is that some of these chapters are not ordered chronically well which results in poor classification. For example, Chapter 4 combines two periods from completely different and distant ages which are the Roman period and the Turkish and Pre-Turkish periods. The former belongs to classical times while the latter is relatively modern. The same note applies to Chapter 11. The town of Toneen needs an independent chapter while Mosques and Sufi Zawayias can be displayed within Chapter 3 and the annual habits are annexed to Chapter 9 which presents the social customs of Ghadames.

Although the arrangement of these chapters gives a poor impression to the reader, it gives him a good idea that the content is well covered and the tale of Ghadames is well traced.

The text itself shows some other poor levels of structure and or-

ganization. For example, the first paragraph of Chapter 4, which records the history of the city during the Roman and Turkish periods, lacks unity and coherence due to the poor structure of this paragraph. The topic sentence is about the Roman invasion.Nonetheless, the following developing sentences discuss some points about archaeological remains such as their description and their origins, and then go further to use these remains as a proof of the greatness of the city while the author is still unable to identify their origin[]. In Chapter 8, he includes the speeches by nationalleaders of the period, which is utterly irrelevant according to his structure, while he could attach these speeches in an appendix. The conclusion of the book also shows a trait of being not well structured. It doesn't conclude the content of the book; rather it develops into a personal speech describing the author's worries, hopes and plans. The impersonality characteristic is apparently absent from the text in some areas and scarcely present in some others. There are two factors which might justify this disappearance in such cases: The first factor is attributed to the nature of the content (the history of a city) in which the domain of the personal point of view is inevitable. The second factor is the attitude brought by the author through his language, in which his choice of words, phrases, and sentence structures, that reflect his diction, is an individual decision.

Diction

According to this sort of individuality, there are four types of diction:

- Formal diction
- Informal diction
- Middle diction
- Emotional diction

It might be a self-evident judgment to decide that the author's diction takes a middle position between the formal and informal.

Despite that, it needs a more thoughtful decision if the size of the book is taken into consideration. While the academic style requires the unity of diction, the free writing style might be unable to avoid a sort of diversity in diction.

In Chapters 4 to 8, whose content should reflect the objectivity and the impersonality of the topic (the history of Ghadames from the Roman period to the modern history), the author seems adopt a formal diction, but then again he adopts inappropriate attitudes to be either emotional or informal.

The following examples are arbitrarily selected from these chapters: "Thus this smug army entered the city of Ghadames…"0"this great nation whose citizens could travel from Haderamaut in Yemen to Tangier in Morocco and the Tangerine would not feel that the coming traveler is not Tangerine by birth… and permitted his great spirit to stand against the tyrant Timor to defend not only his birthplace but the whole land of the Arab nation."0" while we mention that, we feel pain squeezes our hearts". 0"One of the old books demonstrates that…"0

This informality of his diction provides him an opportunity to be himself not a copy of the typical image of the history writers. He frees his presentation from the dictations of the authoritative voice; as a result, his text becomes rich in details, varied in colours and extraordinary in trends. A good illustration of this richness is his description to a heritage discovery (a journal made of the skin of Ghazal) while he chronicles the past history of the Spring of Ain al-Fares. "The journal deserves to be studied and investigated for more information about the spring itself"0

Tone

Besides the informal tone, the text of the book shows some other traits of the author's tone:

Patriotic:	Ghadames has always been the cemetery of the invaders, for its people have been as steadfast as their lofty mountains, their vast deserts, and their spring Ain al-Fares, which is the source of their life and the life of their pleasant prosperous grooves."()
Nostalgic:	For those people, I would like to say that every woman should be always able to create some of these handmade objects.()
Sarcastic:	"For many years our Michael has stayed involved in his work until his body is afflicted with rheumatism and he is unable to continue; then he goes to his house to take care of his sick body, leaving his chair to another victim."()
Emotional:	"What a strange thing that stimulates disgusting and despising! one enemy gets defeated and another makes victory upon an Arabic land whose people are regardless, ignored, and non-taken into consideration."()

Part2: Content

The content of the book is based on three types of narrations:

- The personal narration
- The mythological narration
- The referential narration

The Personal Narration

The author is an authentic member of the city's community; accordingly, he confidently and fearlessly relies on personal knowledge rather than informed reading. On one hand, he demonstrates a general problem which is the shortage of the material resources

about the city.On the other hand, he reacts to a private problem, which results in the intimate proximity between the writer and the content of his writing in which a sort of a positive neutralism cannot easily be maintained and negative alignment definitely cannot be evaded. "This land, which is a part of the land of the Arabs and the Muslims, has the right to be proud of being the place which contains the mortal remains of one of the prophet's companions."()

While the author builds the narrative of his city using his own point of view, he sometimes uses constructive blocks and succeeds in hiding the identity of the personal voice of the author. Yet, in some other areas; hedistances his language from the targets of the impersonal narrator which are clarity, precision, and objectivity whenusing those deconstructive blocks."I have been told by whom I trust in him that…"()Therefore, he exposes his narration to serious defects when he totally gets involved in this personal language. Thefollowing table gives examples chosen randomly from many alike in the book:

The defect	The example
Digression	"By the way, I say that Ghadames is, to some extent, an agricultural town."() While he details how the spring of Ain el-Fres is cleaned during the Revolution of September 1969
Irrelevant asides	"We might aside from the theme we are talking about, we said that…" ()
Bathos	"After that, they all headed to the hotel of Ain el-Fares to have lunch at the expense of the donators."()

The defect	The example
Circumlocution	The best example here is the writing about *Ain el-Fres*. Under this headline,[0] the author adds 13 heads introducing the spring. Every heading is a paragraph or a page but the last heading (How the Earlier People Cleaned the Spring in the Past) contains an additional five subheadings, each the size of a paragraph or a page. The exception is the last one about its cleaning during the Revolution of September 1969 taking nine pages stuffed with unneeded information.
Extravagance	The best examples are his accounts about the notable men of Ghadames[0]
Pathos	A fine example is captured under this subheading: *The French occupation after the evacuation of the Italians*. The author allots one paragraph for the topic and a full page to his feelings about a united Arab nations and his nostalgia to the glories of the Arabs and their victories against the Crusaders and al-Moguls[0]
Reiteration	"The early people of Ghadames from Bani Mani from Fezara branched into three sections: Derar, Fathl, Worghen."[0]This piece of information is repeated in four Streets of seven)

These defects are unlikely to cause immense disharmony or make flagrant gaps because they conform to the features of a personal language that dominates the narration. Moreover, they can scarcely deform the dominant characteristics of the author's narration for the subtlety of his purpose which is narrating the story of Ghadames perfectly. For the expressed reason Because he makes a great effort in using his watershed experience to enrich his writing with interesting accounts

and charming narration, the readers might reconcile themselves with these defects for the sake of these efforts whose key target is to keep the treasures of a great city from sinking into oblivion.

As a witness of his age and his city's critical transformations, hefeels a moral responsibility towards first, hisunique wellsprings of his life in an ancient civilized city such Ghadames, and second towards his national responsibility to invest his distinctive knowledge in constructing his narration."I saw people working together in such collective work that I had never seen before"()"I was among those who attended his classes in grades 1 and 2."()"Although the second congress of Ghadames adopted a project to restore it, the participants didn't turn their words into deeds." "That is why I kept the word of the request as it was since nothing has been done to save this old mosque."()

By the same token, this creative narration demonstrates the range of the author's knowledge about his historical city of Ghadames; consequently, the readers accept his own opinions and ideas when he is voicing them, whether or not they are informed by the research in the field. "The French interest in Ghadames and Ghat appears in the book's journey of the Tunisian traveler al-Hasheshi, who was cooperating with the French authorities especially in the cultural field."()

The Mythological Narration

Myths constitute a fundamental part of the Libyan heritage and its impact on the local culture can be captured either in the historical accounts or the literary works that record the cultural history of the Libyan cities and their societies. Ghadames is one of these cities which possesses a great part of this heritage. Undoubtedly, the collective memory of the city vividly preserves the most colorful images of these myths. "Myths can be a window onto a culture's deepest perceptions about itself because myths attempt to explain

what otherwise seems unexplained a people' origin, purpose, destiny."()However, this collective memory of society cannot stand forever against the arrow of time unless the sensitive minds do their job and accumulate the scattering archives from the memory of the people in lasting timeless works.

In his book about Ghadames, the author uses mythologies in three different ways:

The first one appears explicitly when he has to employ myths to give answers or explanations to some issues and when he gives a reason or an evidence for the existence or the importance of remarkable places. The following examples successively show his first way of using myths in his narration:"We previously mentioned in brief that the reason behind establishing the city of Ghadames is Ain-al-Fres, and we had narrated the myth of its foundation…this myth is familiar to the people of Ghadames, who keep narrating it amongst themselves"(). "A myth says that when the Arab Muslims were about to conquer the city, the chiefs of the tribes gathered together for consultation and negotiation about what might they do with the coming conquerors. Among those chiefs were the owners of these palaces."()

The second way is the use of myth as an autonomous element to enrich the text only, in other words; the myth has no role or function. One great example to show this is the usage of the myth of Beblal, the ghost of Ain al-Fares "This myth is about a horrifying ghost called Beblal living in Ain el- Fares."()

The third way of mythological use appears when the author uses them implicitly in different terms:

A mysterious symbol: "They call Monday night the Night of Mo-

rina. For this Morina, I cannot find anyone who may explain it to me. It might be a mysterious symbol, which deserves to be expounded."()

Aneccentric custom: "I remember an old custom whose origin is not known. It takes place on the first night of moonless nights when the unengaged girls are permitted to go up to the roofs to celebrate the night, which is called the night of Memro." "…There is no-one who knows who Memro is, whose death is announced, and we never even know whether Memro is a man or a woman as the word is sometimes masculine and at other times it is feminized."()

The people of Ghadames used to organize a symbolic party … which is called the Doll of Jinni"()

A miracle: For example, the miraculous stories about the extraordinary works of some pious men of Ghadames. One of these stories happened in the presence of the famous governor Yousef Pasha al-Karamanly()"When he grew aged, he lost his sight, so he travelled to Tunisia for remedy. On the road, he experienced a miracle witnessed by his accompanier, who was his student."()

A popular account: "The elderly people of the city have been talking about a great finding owned by this street…"()"In another account, the Sheikh Mohammed Ibn Ali el-Senusi was the one who sent this copy to al-Medina."()"Another account says that a feud was between Waleed and Wazeet, and it lasted for a long period of time."()

In any way the author uses a myth in his narration, he at times deals with it as a reference or an evidence on which he builds his arguments. "A myth says that …If the myth is to be believed, the associated people spoke three different languages: Arabic, Ghadames, and Latin which verifies that the two languages were familiar to the people of Ghadames besides their dialect."()The author indeed

uses myths not only as components to build up a part of his narration, but also as references to prove a point, and to discuss and argue views built on these myths or their semantic representation. "Myths help people organize their experiences; these systems of belief (less formally held than religious or political tents but no less important) embody a culture's assumption and values."()

The Referential Narration

In general, the book indexes 66 quotations extracted from 12 references. In particular, the author uses three different types of referencing while he narrates the narrative of Ghadames:

The First Type:

The authorrefers to a documented source such as a book, a transcript, a publication or a letter. Here are some examples of every type:"The Tunisian historian, Ibn Abd ElberAlhamiri, introduced Ghadames in one of his books. He says, "It is located in the Sahara."()"Motolinski, in his publication 25- states, "Ghadames is an ancient town"()"After all, I reviewed a transcript found in Ghadames which mentioned some of what has been stated by Motolenski."()"There is a letter dated in the 4thof Di Alkadawas sent by a Ghadamesi whose name is Mustafa to his uncle Hajj Muhammad al-Kilani…"()

TheSecond Type

Thisisa reference to unnamed resources and it is used by the author in three different cases: the first case is his way of using common names such as the elderly people or the people of the city. "The people of Ghadames say that the grave of this Companion in Ghadames, although this does not agree with what has been said by many others…"()"The elderly people of the city have been talking about a great finding owned by this street which deserves to be mentioned or written in golden water."()

The second case is his use of the subject pronoun (they) someone, or (it). The phrases such as "they say", "It says", and "someone says" are used often through the whole text of the book."They say that the "they say that the land of palms will never become poor"() "someone I trust in him told me…"()

The third case is his use of the passive voice forms with the neutral subject (it) either in the present or the past tense: "it is said" and "it was said" are used so frequently that they occur six times, in different contexts, in one page.() "It was said that the General was punished by the Italian officials, who were in charge of Tripoli."()"It is said that the Greek…()

The ThirdType:

It is his special use of the first subject pronoun (I) tocontrast the third subject pronouns he or they. "The Tunisian historian, Ibn Abd ElberAlhamirideclared… But I say the inhabitants of Ghadames are not veiled except Twareq."() "Some people may comment that the purpose of marriage is … For those people, I would like to say that every woman…"()Apart from the first type of references which are conventional, all the other types make problems of a documentary type. However, there is one more type which comes within the context of narration and might cause a semantic issue. It is the use of deictic expressions (indexicals) whether they refer to time or place. The following are randomly selected examples: "and this is what it will reach sooner…"() "at the present time, these changes…"()"I say this and proudly, respectfully mention …"()

The Book's Contribution:

Ghadames: Features and Pictures is the first complete book to have been written about this city since 1970.For this reason, it should be taken less critically and judgmentally. The initiative

of an institution is commonly highly esteemed for its cooperative benefits; why is not the initiative of an individual more highly valued for nearly the same benefits?

The book undeniably suffers from poor structure, and problematic issues coming from both its form and its content. Nevertheless, it displays a wide variety of sources, both primary and secondary materials with some of them as first-hand evidences. Although the study examines the author's free writing, and underlines some examples of its defects, which could be easily manipulated by qualified editors, it suggests that these defects do not underestimate or undermine this earnest and conscientious work. Undoubtedly, the book presents a wide range of information based upon unsustainable resources such as the memoir of the author himself, the memories of the old people of his community, and materials or objects which are not durable. Accordingly, it provides the academic researchers with a valuable database that forms an important part of Libyan history and heritage.

The book succeeds in obtaining one of its aims "which is to establish a core for the writing about this good city."Of these writings about Ghadames, which heavily use this book as a main reference, is the Delight of Narration by Maryem Salama which was delivered to the publisher one year ago. It is about 30 Libyan cities and sites, and Ghadames is one of them. Another work is a historical novel by Ibrahim al-Imam (Alshghat): The Squad.

Certainly, there are several other works published after 1970, and any available literature review can show them. In essence, the content of the book outshines the flaws of the form to enough extent to be an exceptional monumental work of his genre.

So long as "Literary works can help us to understand the time in which they are set," [0] so long this free writing resounds far and

wide through all the current and next generations of the academic researchers.

TheConclusion in Points

- The paper evaluates the contribution of the early literature of the non-academic writers in supplying Libyan history and heritage with invaluable sources, taking Yousha'sGhadames: Features and Pictures as an example.
- The writing's characteristics in Yousha'sGhadames: Features and Pictures is a study that describes and analyzes the author's language.
- The researcher uses the formalist strategy in the process of description and analysis
- The paper concentrates on both form and content of the author's language
- The form shows some defects in structure, diction and tone
- The content shows some defects in the three levels of narration: the personal, the mythological, and the referential narration
- The paper concludes that the book, Ghadames: Features and Pictures, by Basheer GhasemYousha outshines its free writing's defects for two main reasons: its cognitive value as a first book written about Ghadames and its wonderful contribution to Libyan history and heritage.

References

(1) Alice Oshima& Ann Hogue, writing academic English, 3rd edition, 1999, Longman

(2) Basheer GhasemYousha,Ghadames: Features and Pictures, 2nd edition, a private publication, 2001 (Arabic Text)

(3) Bennett Andrew and Royle Nicholas (2004) "An Introduction to Literature, Criticism and Theory", Third edition, Great Britain, Pearson Education Limited

(4) Henriette Anne Klauser, Writing on both sides of the brain, 1st edition, HarperOne, 1987, New York, USA

(5) Plamenatz, John (1980) "Man and Society: A Critical Examination of Some Important Social and Political Theories from Machiavelli to Marx". Volume two, 9th edition, London, Longman

(6) Michael Meyer, Poetry: an introduction, Martin's, 5th edition, Bedford/ST. 2007, Boston, USA

(7) محمد ابن أبي بكر عبدالقادر الرازي,مختار الصحاح, دارالكتاب العربي, بيروت, لبنان ط1 1979 ص604

References

(1) Plamenatz, John (1980) "Man and Society: A Critical Examination of Some Important Social and Political Theories from Machiavelli to Marx". Volume two, 9th edition, London, Longman P 1

(1) Basheer GhasemYousha,Ghadames: Features and Pictures, 2nd edition, a private publication, 2001 (Arabic Text)

(2) The book, see the introduction by Dr. al-Saghier Abed al khader Bahmi

(3) The book, see the introduction by Dr. al-Saghier Abed al khader Bahmi

(4) The book, see the introduction by Dr. al-Saghier Abed al khader Bahmi

(5) Michael Meyer, Poetry: an introduction, Martin's, 5th edition, Bedford/ST. 2007, Boston, USA, P 650

(6) The book, see the back cover

(7) The book, see the introduction by Dr. al-Saghier Abed al khader Bahmi

(8) The book, see the introduction by the author Yousha

(9) Michael Meyer, Poetry: an introduction, Martin's, 5th edition, Bedford/ST. 2007, Boston, USA, P 652

(10) The book, see the introduction by the sons of the author, Yousha

(11))The book, see the introduction by the author, Yousha

(12) محمد ابن أبي بكر عبد القادر الرازي, مختار الصحاح, دار الكتاب العربي, بيروت, لبنان ط١ 1979 ص604

(13) The book, see the introduction by the author, Yousha

(14) Henriette Anne Klauser, Writing on both sides of the brain, 1st edition, HarperOne, 1987, New York , USA P15

(15) Alice Oshima& Ann Hogue, Writing Academic English, 3rd edition, 1999, Longman P 8

(16) The book, P 83
(17) The book, P 102
(18) The book, P 8
(19) The book, P 83
(20) The book, P 83-188
(21) The book, P 52
(22) The book, P 95
(23) The book, P128
(24) The book, P190
(25) The book, P191
(26) The book, P127
(27) The book,P28
(28) The book, P 6
(29) The book, P 89
(30) The book, P 89
(31) \The book, P 1536
(32) The book, P 130
(33) The book, P 117
(34) The book, P 46
(35) The book, P 105
(36) The book, P 43
(37) The book, P 25
(38) The book, P70-71
(39) The book, P 147
(40) The book, P 64
(41) The book, P 43
(42) The book, P 74
(43) The book, P 301

(44) The book, P 151

(45) Michael Meyer, Poetry: an introduction, Martin's, 5th edition, Bedford/ST. 2007, Boston, USA, P 660

(46) The book, P 17-25

(47) The book, P 21

(48) The book, P35

(49) The book, P 236

(50) The book, P 230

(51) The book, P 309

(52) The book, P 106-108

(53) The book, P 72

(54) The book, P 66

(55) The book, P 67

(56) The book, P 65

(57) The book, P 22

(58) Michael Meyer, Poetry: an introduction, Martin's, 5th edition, Bedford/ST. 2007, Boston, USA, P 660

(59) The book, P 22

(60) The book, P 66

(61) The book, P18

(62) The book, P 337

(63) The book, P 14

(64) The book, P 66

(65) The book, P 110

(66) The book, P130

(67) The book, P 54

(68) The book, P 19

(69) The book, P59

(70) The book, P14

(71) The book P86

(72) The book, P 10

(73) The book, P 90

(74) The book, P 112

(75) Bennett Andrew and Royle Nicholas (2004) "An Introduction to Literature, Criticism and Theory", Third edition, Great Britain, Pearson Education Limited P 113